

الصراع مع اليهودية

كنيسة أورشليم

ولدت الكنيسة يوم الخمسين بأورشليم، ولذا عُدَّت كنيسة أورشليم هي الكنيسة الأم لليهود المنتصرين، بل للعالم المسيحي كله فيما بعد... ونستطيع أن نتصور الحياة التي كانت تحياها تلك الجماعة المسيحية الناشئة... كانوا قلة في عددهم، خصوصاً بعد أن عاد شهود يوم الخمسين الذين آمنوا إلى أوطانهم... كانت الحياة، وكل شيء، داخل هذه الجماعة الجديدة، يجرى في بساطة، حتى أن القديس لوقا حينما يصور تلك الفترة المبكرة يقول عن المؤمنين أنهم كانوا "يكسرون الخبز في البيوت، ويتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب" (أع 2:46).

لكن، ومع ذلك، كانت هذه الكنيسة الناشئة تنمو داخلياً وخارجياً كل أيدي الرسل... وهنا نذكر القديس بطرس، الذي كان له - بحكم سنه وخبرته وحماسه الفطري - دور قيادي في تلك الفترة المبكرة من حياة الكنيسة. ساعد الرسل عدد من الكهنة القسوس وسبعة شمامسة للعناية بالفقراء والمرضى... وكان روح الله يعمل - لا في الرسل وحدهم بل في جميع التلاميذ أي المؤمنين، فقفز عدد المؤمنين من ثلاثة آلاف إلى خمسة آلاف (أع 4:4)... أما عوامل النمو فكانت الكرازة بالإنجيل وعمل المعجزات باسم الرب يسوع، وحياة المؤمنين العجيبة في إيمانها وحبها وكل فضيلة⁽¹⁾

كان المؤمنون - بقيادة الرسل - يصعدون إلى الهيكل للعبادة، كما كان يفعل معلمهم... أما اجتماعات العبادة الخاصة، فعقدوها في البيوت (أع 2:46؛ 5:42). كما واطبوا على تناول عشاء الرب... وفي كل ذلك كان يجمعهم إحساس بأنهم جماعة واحدة، وأعضاء جسد واحد رأسه المسيح... وقد لازموا الهيكل وعبادته، وتمموا الناموس القديم، بقدر ما سمحت لهم حياتهم الجديدة، وإيمانهم الجديد...

وعظات القديس بطرس للشعب إمتازت بالبساطة والإقناع، أما خطبه أمام السنهدرين⁽²⁾، فلم تكن دفاعية بقدر ما كانت تبشيرية، ومفعمة حماساً وغيره وقوة وإقناعاً وحكمة. ولا شك أن ذلك كله كان من عمل روح الله

(1) سيأتي الكلام عن ذلك بالتفصيل

(2) أع 3:12 - 5:29 ؛ 34:10

الذى جعل من التلميذ الرعدي، شاهداً صنديداً يشهد أمام مجلس اليهود الأعلى و يقول: "إن كان حقاً أمام الله أن نسمع لكم أكثر من الله فاحكموا، لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا... ينبغي أن يُطاع الله أكثر من الناس" (أع 4:19، 20، 5:29).

هكذا كانت يد الله القوية واضحة في الخدمة، فكان "مؤمنون ينضمون للرب أكثر. جماهير من رجال ونساء" (أع 5:14) ... وكانت "كلمة الله تنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر جداً في أورشليم، وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان" (أع 6:7) ... كان الرب هو العامل فيهم و بهم، وهكذا ... "كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون" (أع 2:47). أما نتيجة هذا التوفيق والنجاح في الخدمة، فكانت سلسلة طويلة ومريرة من المؤامرات والاضطهادات، مرت بها الكنيسة والمؤمنون...

مؤامرات اليهود واضطهاداتهم

:

تظهر أسفار العهد الجديد، مسلك اليهود الدنيء في الوشاية والمؤامرات و إثارة الجماهير ضد الكنيسة المسيحية الناشئة، حينما كانت تعوزهم الفرصة للفتك بالمسيحيين والتنكيل بهم... هذه هي خبرة المسيحيين بهم.

فلما رأوا العالم كله قد ذهب وراء المسيح، حرض رؤسائهم الجموع أمام بيلاطس الوالى الرومانى ليصلب المسيح و يطلق باراباس اللص (مت 27:20). ولما حنقوا على إستفانوس وعلى الله، وهيجوا الشعب، وأقاموا شهوداً كذبة ضده (أع 6:9-14) ... وإذ إمتلأوا غيظاً من القديس بولس، سعوا لدى والى الحارث الملك فى دمشق، فأحكم مراقبة أبواب المدينة نهائياً وليلاً بقصد القبض عليه وقتله⁽³⁾ ...

وفى أنطاكية بيسيدية - بعد أن آمن كثيرون بسبب كرازة بولس وبرنابا - حرك اليهود النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة ضد الرسولين وأخرجوهما من تخومهم (أع 13:50) ... وفى تسالونيكي تقدم اليهود إلى الوالى بوشاية ضد المسيحيين قائلين أنهم يعملون ضد أحكام قيصر لأنهم يؤمنون بملك آخر يسوع (أع 17:6-8) ... وفى أيقونية هيجوا

(3) أع 9:23-25، 2 كو 11:32-33

المدينة كلها ضد بولس وبرنابا، وكادوا يفتكون بهما لولا أنهما هربا (أع 14: 1-6) ... وفي مدينة لسترة نجحوا في إثارة الناس ضد بولس فرجموه رجماً عنيفاً حتى ظن أنه مات، بعد أن كانوا معجبين به جداً وقالوا إنه إله (أع 14: 8-19) ...

والقديس بولس الذي ذاق منهم الأمرين أجاد في وصفهم حينما قال: "اليهود الذين قتلوا الرب يسوع وأنبياءهم، واضطهدونا نحن. وهم غير مرضين لله، وازداد لجميع الناس... قد أدركهم الغضب إلى النهاية" (1تس 2: 15، 16).

:

كان لا مفر من الصدام بين المسيحية واليهودية... ولم يكن أمام الكنيسة الناشئة إلا الباب الضيق أن تلجه، والطريق الكرب أن تسلكه... طريق الضيق والاضطهاد... كان البادئ بالاضطهاد هم جماعة الصدوقيين (أع 4: 1، 5: 17) ... ولعل ما أثارهم هو كرازة الرسل بقيامة الرب يسوع من بين الأموات (أع 4: 2)، بينما هم ينكرون القيامة من الأموات... كان ذلك عقب المعجزة التي تمجد بها الرب بشفاء المقعد من بطن أمه، الذي كان له أكثر من أربعين سنة مقعداً، وكان يجلس عند باب الهيكل يسأل صدقة... لقد قبضوا على بطرس و يوحنا وأودعوهما السجن إلى الغد... وما لبثوا أن هالتهم كثرة الآيات والعجائب التي كانت تجرى على أيدي الرسل فأمسكوا بالرسل جميعاً والقوهم في الحبس. لكن ملاك الرب فتح أبواب السجن ليلاً وأطلقهم. وفي الصباح شوهدوا في الهيكل يعلمون (أع 5: 12-20). وفي هذه المرة فكروا جدياً في التخلص منهم، لولا تدخل المعلم الفريسي غملائيل، الذي كان متزناً، فاكتفوا بجلدهم واطلاقهم بعد أن أوصوهم أن لا يبشروا باسم الرب يسوع... أما الرسل "فذهبوا فرحين لأنهم حسبوا مستأهلين أن يهانوا من أجل اسمه" (أع 5: 33-41).

:

كان المنتظر أن يصبح اليهود اليونانيون، عنصراً تقديمياً متحرراً، إزاء نظرة الازدراء التي كان ينظر بها إليهم يهود فلسطين. لكن حادث مقتل إستفانوس أول شهيد مسيحي يعكس لنا صورة أخرى عنهم. كان إستفانوس أحد الشمامسة السبعة رجلاً مملوءاً إيماناً وقوة، وكان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب (أع 6: 8). وقد أثارت

شخصيته ومعجزاته حسد ومقاومة مواطنيه من اليونانيين... لقد أسقط في يدهم، إذ "لم يقدرُوا أن يقاوموا الحكمة والروح الذى كان يتكلم به" (أع 6: 10)... فما كان منهم إلا أن لجأوا إلى أسلوب الدس والإثارة كما هى عادتهم "فخطفوه وأتوا به إلى المجمع" (أع 6: 11، 12).

قدم إستفانوس فى احتجاجه صورة تاريخية عريضة، حينما استعرض تاريخ هذا الشعب، مظهراً به صلاح الله وجحود اليهود... وهكذا حول إستفانوس دفاعه إلى إتهام جريء... ثم لخص إستفانوس الفترة الأخيرة من تاريخ أمته اليهودية وأشار إلى بناء الهيكل... ولم يتفوه بشيء ضده، بل اعتبره نعمة من الله لبيت داود... لكنه هاجم المادية الشنيعة التى ظهرت فى هذا الهيكل.

كانت كلمات إستفانوس نارية مقتعة تحمل معها الدليل والبرهان، لكنها وقفت عند آذان سامعيه، ولم تجد سبيلاً إلى قلوبهم القاسية... وحسناً ختم اسطفانوس دفاعه بهذه الكلمات القوية "يا قساة الرقاب، وغير المختونين بالقلوب والآذان. أنتم دائماً تقاومون الروح القدس، كما كان آباؤكم كذلك أنتم. أى الأنبياء لم يضطهده آباؤكم. وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار، الذى أنتم الآن صرتم مسلميه وقاتليه. الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه" (أع 7: 51-53).

وما أن وصل إستفانوس إلى هذه الفقرة من خطابه، حتى هاج سامعوه وثاروا بعنف شديد، وأخرجوه خارج المدينة ورجموه... وقيل إن إستشهاده الرائع حدث سنة 36 أو سنة 37... كان وجهه يتلألأ بنور سماوى، ورأى رؤيا سماوية... رأى مجد الله، والرب يسوع قائماً عن يمين العظمة... لقد أسلم روحه الطاهرة وهو يصلى من أجل قاتليه، أن لا يقيم الرب عليهم خطية قتله، متشبيهاً بسيدته الذى طلب الغفران لصالبيه. كان حادث مقتل إستفانوس سبباً فى تحالف الفريسيين مع الصدوقيين، من أجل هدف خبيث مشترك، هو القضاء كل الجماعة المسيحية الناشئة، على نحو ما صار هيرودس وببلاطس صديقين بسبب صلب الرب يسوع...!!

وثمة ملاحظة نسوقها... يورد سفر أعمال الرسل خطاب إستفانوس الذى يعتبر أطول خطاب سجله هذا السفر. ومن المرجح أن المعلومات الواردة فيه، استمدها كاتب السفر من بولس الرسول، الذى لم ينس كلمات إستفانوس القوية، ولا وجهه الذى أضاء كوجه ملاك، بينما كان هو راضياً بقتله، ويحرس ثياب الراجمين !!

تعطف الامبراطور الرومانى كاليجولا Galigula (37 - 41 م) على نديمه هيرودس أغريباس (وهو حفيد هيرودس الكبير) فى سنة 37، وأقامه ملكاً، وولاه على كورة تراخونيتس فى أقصى شمال فلسطين. ثم ولاه على مقاطعة الجليل وبلا Pella وتوابعها فى شرقى الأردن... وفى سنة 41 وسع الامبراطور كلوديوس (41- 54 م) اختصاصات هيرودس، فولاه السامرة واليهودية بالإضافة إلى ما تقدم... وكان هيرودس أغريباس قد اشتهر بتهتكه أثناء إقامته بروما. فلما صار ملكاً على كل بلاد فلسطين، أراد أن يتودد إلى رجال الدين من اليهود ويسترضيهم⁽⁴⁾، فأثار اضطهاداً على المسيحيين، وقبض على قوم منهم، من بينهم الرسول يعقوب بن زبدي وقتله بحد السيف سنة 44 (أع 12: 1، 2).

كان القديس يعقوب هو أول من استشهد من الرسل... و يروى يوسابيوس المؤرخ- إستناداً إلى كليمنضس الاسكندرى - قصة إستشهاده فيقول إن الشخص الذى قاد الرسول يعقوب إلى المحاكمة تأثر عندما رأى شجاعته وثباته، وأعلن إيمانه بالمسيح، واقتيد كلاهما إلى الخارج. وفى الطريق توسل ذلك الشخص إلى الرسول أن يسامحه... أما يعقوب، فبعد تفكير قصير، قال: (سلام معك) وقبله. و ما لبثت أن قطعت رأسهما بحد السيف فى آن واحد⁽⁵⁾

سجن بطرس:

لم تقنع نفس هيرودس أغريباس المفعمة رياء بقتل أحد رسل المسيح، بل إذ رأى أن ذلك يرضى اليهود عاد فقبض على بطرس أيضاً، وطرحه فى السجن ووضع عليه حراسة قوية، وكان ينوى أن يقتله بعد الفصح، كتقدمه مرضية لليهود... كان ذلك فى ربيع سنة 44... لكن الله أرسل ملاكه وفتح أبواب السجن وأطلق بطرس...

لقد أفرد القديس لوقا اصحاحاً بأكمله لهذا الموضوع (أع 12)... وليس لغير سبب، أرشد روح الله لوقا ليسجل لنا هذه القصة بالتفصيل.. فهذا الفصل يسجل عمل الله مع الكنيسة، كما أنه يسجل بحروف من نور

(4) Lietzmann; A History of the Early Church, p. 177

(5) Eusebius, H.E., 2.9

روح الكنيسة الأولى وحياتها، ومفاهيمها الروحية، وعظم إيمانها... ففي الوقت الذي كان بطرس مسجوناً، كانت الكنيسة تصلى بلجاجة وبلا إنقطاع إلى الله لأجله... لقد حل ملاك الله بطرس من القيود الحديدية التي كان مقيداً بها، وفتح أبواب السجن الضخمة أمامه... ولما بلغ إلى حيث كان المؤمنون مجتمعين- وكان ذلك ليلاً - وجدهم يصلون. وكان وصول بطرس إليهم سالماً، هو إجابة الله العاجلة لصلواتهم.

:

بعد قتل يعقوب بن زبدي، وسجن بطرس، ما لبث أن مات هيرودس أغريباس ميته شنيعة... ذهب إلى قيصرية ليفصل في بعض الخلافات التي نشبت بين سكان صور وصيدا، ويستعرض بعض الألعاب إحتفاءً بشفاء الامبراطور كلوديوس... وفي قيصرية إستقبل بحماس بالغ... ظهر في اليوم التالي أثناء الإحتفال يرتدى حلة فضية، كانت تنكسر عليه أشعة الشمس معطية إنعكاسات ضوئية، أثارت إعجاب العامة... وما لبث المتملقون أن تمادوا في إعجابهم وملقهم فدعوه إلهاً... وفي نفس اللحظة يظهر الله إقتداره، إذ "ضربه ملاك الرب، وصار الدود يأكله ومات، لأنه لم يعط المجد لله" (أع 12: 20-23)... وقد ذكر يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعاصر، أنه وهو يموت كان يردد في تعجب "أنا الإله على وشك الموت. لقد قبض الموت على من دعاه الناس خالداً!"⁽⁶⁾

ولا شك أن هذا الحادث طبع تأثيراً قوياً في الكنيسة التي رأت في الله حامياً... فالقديس لوقا بعد أن سجل النعمة الإلهية بهلاك هيرودس والخلص من شره، يذكر في عبارة قصيرة معاني كثيرة، ما أحرانا أن نقف أمامها للتأمل والتعزية والاستفادة... قال: " وأما كلمة الله فكانت تنمو وتزيد " (أع 12: 24).

:

إن حوادث القتل والتعذيب والسجن لم تشف غليل اليهود من إخوتهم الذين آمنوا بالمسيح، بل أنهم استمروا ذلك، ومضوا فيه... ففي سنة 62 قام حنان رئيس كهنة اليهود- وكان صدوقياً متعصباً- وقدم الرسول يعقوب الصغير أسقف أورشليم- المعروف باسم أخى الرب- إلى المحاكمة أمام

(6) Josephus: Antiquities, 19.8.2.

السنهدرين، وحكم عليه بالموت بحجة ارتكابه تعديات ضد الناموس... ونفذ فيه حكم الموت رجماً بالحجارة... هذا، على الرغم من الشهادة الحسنة التي نالها القديس يعقوب من جميع اليهود بسبب قداسته وتقواه، حتى أن يوسيفوس المؤرخ اليهودي يسجل أن خراب أورشليم كان إنتقاماً إلهياً لمقتل ذلك البار⁽⁷⁾.

بركات الإضطهاد وثماره

ظلت طاقات الرسل والتلاميذ متجمعة في أورشليم، ولم يفجرها سوى الاضطهاد... كان مقتل إستفانوس نذير اضطهاد كبير شامل، تخطى حدود أورشليم ذاتها " فتشتت الجميع في كور اليهودية والسامرة ما عدا الرسل " (أع 8: 1، 10: 26، 11) ... لقد أطلق مقتل شهيد المسيحية الأول، كل العداوة الكامنة المتراكمة ضد المسيحيين... و يبدو أن شاول الطرسوسي (القديس بولس) قاد عامة اليهود في نفس اليوم من بيت إلى بيت، يجر المؤمنين الخائفين- رجالاً ونساء- إلى السجون، ويسطو على الكنيسة (أع 3: 8) ...

كان اليونانيون هم البائدون بالاضطهاد... لقد وجهوا اضطهادهم أساساً - وعلى رأسهم شاول- إلى المؤمنين الذين يعرفونهم قبلاً - أي المسيحيين اليونانيين، الذين كانوا يتعبدون في مجامعهم... ولم يجد هؤلاء سبيلاً للنجاة إلا الهرب من أورشليم إلى أوطانهم الأولى، أو الاختباء عند أصدقائهم في المدينة، وعلى مقربة منها حتى تهدأ الحال⁽⁸⁾... ولا بد وأن تكون تلك الفترة المبكرة قد حفلت بشهداء آخرين غير إستفانوس⁽⁹⁾.

ترسم لنا كلمات القديس لوقا القليلة عن أحداث تلك الفترة المبكرة (أع 8: 1-3)، صورة قاتمة مزعجة لقطيع المسيح الصغير... لكن ما يلبث بعدها حتى يقدم عبارة قصيرة تحوى جماع فلسفة المسيحية وتكشف عن مبادئها " الذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة " (أع 8: 4) ... إن هذه الكلمات القليلة هي تعبير عملي دائم عن حقيقة المسيحية وطبيعة رسالتها.. أنها تكشف أن المسيحية هي دائماً ديانة الصليب، تظهر أصالتها وسط

(7) Ibid, 20.9.1.

(8) لم يكن كل اليهود يضمرون العداوة للمسيحيين، بل كان بينهم عينات طيبة معتدلة متفاهمة، كالرجال اليهود الأتقياء الذين حملوا جسد استفانوس إلى القبر وعملوا عليه مناحة عظيمة (أع 2: 8).

انظر Hill, p.53-(10:26) (9)

الضيقات، وتزدهر بالضغطات... هي ليست ديانة السيف، بل ديانة الروح والوداعة والحق... لقد أثبتت الأحداث أن الاضطهاد كان دائماً بركة لكنيسة المسيح... فقد استأصل العناصر الكاذبة، وأقصى ذوى القلوب الضعيفة، ووضع خاتمة للحياة اللينة، ونشر الإيمان المسيحي طويلاً وعرضاً... والآن نعرض لعينات من بركات الاضطهاد وثماره...

1- التبشير في السامرة⁽¹⁰⁾:

لقد أدى الاضطهاد إلى تشتت المسيحيين، وهذا وسع حقل نشاطهم الكرازي، فبدأوا يلتقون- وللمرة الأولى- بالوثنية المتصوفة لذلك العصر، التي جمعت في عقائدها الغامضة الشرق والغرب... لقد انتظرهم هذا الخصم الجديد في إحدى مدن السامرة التي إتجه إليها بعضهم...

لم تكن السامرة- في واقع الحال- بلداً وثنياً خالصاً.. كان سكانها سلالة ذلك الخليط من بقية الأسباط العشر وبعض المستعمرين الأجانب، الذين إنتقلوا إليها بأمر شلمناسر ملك آشور⁽¹¹⁾ (2 مل 17: 24). بعد أن عاد اليهود من بابل، حاول السامريون أن يشتركوا معهم في إعادة بناء الهيكل، لكنهم طردوا باحتقار (عزرا 4: 1-3)، فصمموا أن يشيدوا هيكلًا ليهوه على جبل جرزيم في السامرة⁽¹²⁾... وقد حل بالسامريين ما حل باليهود من جراء الاضطرابات التي حدثت في آسيا الصغرى، فهدم هيكلهم على يد يوحنا هيركانوس⁽¹³⁾ Hyrcanus... لكن على الرغم من ذلك، فقد إستمر جبل جرزيم موضعاً مقدساً لهم⁽¹⁴⁾... ثم وقعت السامرة في قبضة الرومان، وصارت مستعمرة رومانية، شأنها في ذلك شأن جيرانها من اليهود.

ظل السامريون أوفياء للعبادة التوحيدية. وكان انفصالهم عن اليهود في بداية العصر النبوي الكبير، سبباً في عزلتهم عن التطور الكبير في العهد القديم... لقد اعترفوا بقانونية أسفار موسى الخمسة فقط، مع سفر يشوع خليفة موسى. وباستثناء أقلية ضئيلة، فقد أنكروا قيامة الموتى⁽¹⁵⁾. وقد شارك السامريون اليهود إلى حد ما في إنتظارهم للمسيا (يو 4: 25). لكن

(10) De Pressensé, Vol. 1, pp. 64 - Hill, pp.59

(11) Josephus, Antiquities, 11.8.6.

(12) Ibid, 12.1.1

(13) Ibid, 13.9

(14) Ibid, 13. 14.1.

(15) أوريجينوس في تفسيره لسفر العدد، مقال 1:25.

رجاءهم فى المسيا كان مطبوعاً بطابع مادى أكثر من اليهود... اعتقد السامريون أن المسيا يملك على كل الأمم ليعيد الناموس المقدس، ويعيد بناء هيكل جرزيم، ويضمن سيادة موسى على العالم. وليس أدل على طبيعة أمالهم الأرضية من السهولة التى استطاع بها سيمون الساحر أن يخلب عقولهم.

أما عن كراهية اليهود للسامريين والقطيعة بينهم، فهى كراهية تقليدية. وقد غدت بعض الأحداث الكراهية بين الشعبين المتجاورين... ويقدم لنا الإنجيل أدلة كثيرة على ذلك... فأشر النعوت التى صاغها اليهود وقالوها عن المسيح، أنه سامرى (يو 8: 48)، حتى أن المرأة السامرية إعترتها الدهشة لكلام المسيح معها. ويحذر التلمود اليهودى أى إسرائيل من مؤاكلة السامرى، ويعتبره كمن يأكل لحم خنزير!!

وهكذا نرى أن ذهاب الرسل والتلاميذ إلى السامرة للكراسة فيها لابد وأنه أثار كوامن عداة شعبهم اليهودى. لكنها كانت ولا شك خطوة كبيرة نحو الإتساع الحقيقى للمسيحية... هكذا وضعت الكنيسة الأولى قدمها على الطريق الذى افتتحة إستفانوس بموته، وأتى استشهاده بثماره الأولى...

كان أول من كرز فى السامرة هو فيلبس المبشر أحد السبعة شمامسة... وقد أيد الرب كرازته بآيات كثيرة، حتى أن كثيرين- رجالاً ونساء- اعتمدوا على يديه، بل أن سيمون الساحر نفسه آمن واعتمد، لكن لم يكن قلبه مستقيماً أمام الله... كانت نتيجة كرازة فيلبس " فرح عظيم فى تلك المدينة " (أع 8: 5-8)... ترامت هذه الأخبار السارة إلى الكنيسة الأم فى أورشليم، فأرسلت إلى السامرة الرسولين بطرس ويوحنا ليها- بصلواتهما ووضع أيديهما- الروح القدس لأولئك الذين عمدهم فيلبس⁽¹⁶⁾... فلما وصل بطرس ويوحنا صليا لأجل من اعتمدوا، ووضعوا عليهم الأيادى فقبلوا الروح القدس (أع 8: 15-17).

ولم تقف الكرازة فى السامرة عند حد هذه المدينة فقط، بل أن الرسولين بطرس ويوحنا، وهما فى طريق العودة إلى أورشليم "بشرا قرى كثيرة للسامريين" (أع 8: 25)... هكذا تمت كلمات الرب يسوع لرسله فى أعقاب حديثه مع المرأة السامرية فى مدينة سوخار- إحدى مدن السامرة... " ارفعوا أعينكم وانظروا الحقول، إنها قد ابيضت للحصاد..." (يو 4: 35).

(16) كان فيلبس شماساً فقط، ولم يكن له من درجات الكهنوت ما يخوله ممارسة سر التثبيت، الذى كان يتم بوضع أيدي من هم فى درجة الأسقفية فى الكنيسة الأولى.

2- عماد الخصى الحبشى:

الله الذى كان يقود الخدمة والخدام فى الكنيسة، أرشد فيلبس و هو فى السامرة بواسطة ملاك، أن يقوم ويسافر نحو الجنوب على الطريق الصحراوى المنحدر من اورشليم الى غزة... أطاع فيلبس " وإذا رجل حبشى خصى وزير لكنداكة ملكة الحبشة⁽¹⁷⁾، كان على جميع خزائنها. فهذا كان قد جاء إلى اورشليم ليسجد. وكان راجعاً وجالساً على مركبته، وهو يقرأ النبي إشعياء ". ومرة أخرى يوجه روح الله فيلبس أن يتقدم و يرافق مركبة الوزير... وهنا دار الحديث بين فيلبس وذلك الوزير. وحينما سأله فيلبس إن كان يفهم ما يقرأ من سفر إشعياء، جاءت إجابته معبرة عن إتضاع عميق " كيف يمكننى إن لم يرشدنى أحد " ... وفى إتضاعه طلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه فى المركبة... اتخذ فيلبس من فصل إشعياء الذى كان يقرأه ذلك الوزير، مادة لتبشير... وكما كان ذلك الوزير متضعاً، كذلك كان تواقاً لخلص نفسه. فما أن أقبلنا على ماء- وكان قلبه قد تفتح بالنعمة- حتى قال لفيلبس فى لهفة حتى لا تفوته الفرصة: " هوذا ماء. ماذا يمنع أن أعتد " ... وإذ كشف عن إيمانه بأن يسوع هو ابن الله، عمده فيلبس على مقربة من غزة " (أع 8: 26-40)... هذا المنظر الجميل الفريد فى الصحراء، يكشف لنا عن افتقاد الله، وهو يبحث فى كل مكان عن النفس التى تبحث عنه⁽¹⁸⁾.

لكن من يكون هذا الوزير الخصى؟ يبدو أنه كان أحد الأميين المتعبدين (خائفى الله) وقطعاً لم يكن يهودياً، لأنه من حيث كونه خصياً، كان لا يسمح له بالدخول ضمن جماعة الرب حتى لو كان قد إختتن (تث 23: 1). لكنه كان يسمح له بالعبادة فى الهيكل فى دار الأمم... ومن أجل هذا الغرض، قطع رحلة طويلة إلى اورشليم ليسجد فيها... ويروى التقليد الكنسى القديم أن هذا الخصى هو أول من حمل المسيحية إلى بلاده⁽¹⁹⁾.

3- تبشير المدن الساحلية:

(17) كلمة الحبشة قديماً إصطلاح عام أطلق على كل المنطقة جنوبى مصر. وجميع الملكات اللاتى حكمن فى مملكة مروى Meroe جنوبى الشلال الثانى للنيل، كن يسمين "كنداكة" على نحو ما كان ملك مصر يُسمى " فرعون ". كانت الديانة اليهودية قد وصلت إلى الحبشة قبل ذلك بزمان طويل. وكان عبد ملك صديق أرميا النبى خصياً حبشياً (أرميا 7: 38)- انظر Hill, p. 62

(18) صدق القديس جيروم فى وصفه لذلك الوزير [لقد وجد فى ينبوع الكنيسة فى الصحراء، أكثر مما وجد فى الهيكل المذهب بأورشليم].

(19) Eusebius, H.E. 2.1.13, Harnack, The Mission ..p. 52, Hill, pp. 62-De pressensé Vol. 1, pp.74,75.

كانت بلاد فلسطين تضم مدناً يونانية، معظم سكانها من الوثنيين. وكانت تقع أساساً على طول ساحل البحر المتوسط... و يروى لنا سفر الأعمال أن فيلبس - بعد أن عمد الوزير الحبشى على مقربة من غزة- خطفه روح الرب إلى أشدود - بعدها بشر فيلبس جميع المدن الساحلية، وهو فى طريقه شمالاً حتى وصل إلى قيصرية عاصمة فلسطين وقتذاك (أع 8: 40).

4- الكرازة فى كل بلاد فلسطين:

إن قصة الكرازة بالإنجيل لم تدون بالتفصيل فى سفر أعمال الرسل، لكن القديس لوقا- كاتب السفر- أورد إشارات بسيطة عن ذلك... أما الكنائس فى جميع اليهودية والجليل والسامرة فكان لها سلام، وكانت تبني وتسير فى خوف الله، وبتعزية الروح و القدس كانت تتكاثر" (أع 9: 31)... ونلاحظ هنا أنه يذكر " كنائس الجليل ". هذه مجرد إشارة دون أن يذكر لنا القديس لوقا أية تفصيلات عن ذلك...

فيما يختص بالكرازة فى الجليل- وهو القسم الشمالى من بلاد فلسطين- لا توجد لدينا وثائق تاريخية عن ذلك... لكن النقوش التى اكتشفت أخيراً فى الناصرة- وهى إحدى مدن الجليل- تثبت أن البشارة بالإنجيل وصلت إلى الجليل فى زمان مبكر جداً... والصلوات العائلة والقرابة الجسدية لكثير من الرسل باقليم الجليل، تؤكد احتمال قبولها المسيحية فى تاريخ مبكر (20).

وبعد الإشارة السابقة التى أوردها القديس لوقا عن الجليل، يورد إشارة أخرى فيقول: " وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع، نزل أيضاً إلى القديسين الساكنين فى لدة " (أع 9: 32)... وإيراد هذه العبارة بعد العبارة الأولى الخاصة بنمو كنائس " اليهودية والجليل والسامرة "، يحملنا على الاعتقاد بأن القديس بطرس كان يتحرك ويتجول جولات كرازية، يبشر ويثبت المؤمنين... وهنا يورد خبر معجزتين صنعهما الرب على يدى بطرس: شفاء اينياس فى مدينة اللد- وكان مفلوجاً لمدة ثمانى سنين، وإقامة طابيثا بعد موتها فى مدينة يافا... أما نتيجة خدمة بطرس فى اللد ويافا، كانت إيمان كثيرين بالرب (أع 9: 32-42).

5- إيمان شاول الطرسوسى:

ولعل أعظم البركات التى نتجت عن إضطهاد الكنيسة الأولى، هى

(20) Danielou, The Christian Centuries, Vol. 1, p. 18

إيمان شاول الطرسوسي حوالى سنة 37 م... ذلك الرجل الذى كانت الغيرة تعتمل فى داخله بدوافع ومفاهيم فريسية خاطئة. ومن ثم جند ذاته لاستئصال شأفة المسيحية، فكان يضطهد كنيسة الله بإفراط ويتلفها (غل 1: 13). كان يحبس كثيرين من القديسين فى السجون بأمر رؤساء الكهنة، وكان يعاقبهم و يضطربهم إلى التجديف... ولفرط حنقه، كان يطاردهم إلى المدن خارج أورشليم (أع 26: 10، 11)... وفى إحدى حملاته الإنتقامية التى جردها ضد المؤمنين فى دمشق، إلتقى بقائد هؤلاء المسيحيين ورئيس خلاصهم عند مشارف دمشق... وكانت معركة، لكنها غير دموية وغير متكافئة، سقط فيها شاول مستسلماً، وغداً أسيراً... أسره الرب يسوع بلطفه وحنوه وحبه، حين أبرق حوله نور سماوى، وسمع صوتاً يقول له: " شاول شاول لماذا تضطهدنى " ... وحين أعلن له الرب ذاته، قال فى استسلام عجيب: (يا رب ماذا تريد أن أفعل " ... وهنا قال له الرب يسوع عما يريده أن يفعل (أع 9: 1-6).

لم ينس بولس هذه المعركة... لم ينس أن الرب يسوع أسره يوماً... ذلك الضعف الذى طالما تغنى به على أنه القوة عينها- ذلك الأسر العجيب الذى عتقه وحرره، الذى كان يحلو له فيما بعد أن يعلنه " بولس... أسير يسوع المسيح " (21).

بعد هذا اللقاء الخلاصى العجيب، ظل شاول فاقد البصر ثلاثة أيام، طواها صائماً فى دمشق، وبواسطة رؤيا أعلنت لتلميذ يقال له حنانيا، وأخرى أعلنت لشاول نفسه، قصد بعدها حنانيا إلى حيث كانا شاول نازلاً، ووضع يديه عليه، فللوقت سقط من عينه شيء كأنه قشور، فأبصر فى الحال، وقام واعتمد وامتلاً من الروح القدس (أع 9: 10-18)... وأمضى فى دمشق أياماً مع المؤمنين...

أما " حنانيا " الذى عمد بولس، فنحن لا نعرف الكثير عنه... يذكره القديس لوقا على أنه " تلميذ " أى مؤمن مسيحي (أع 9: 10)، و يصفه القديس بولس بأنه رجل تقى حسب الناموس ومشهود له من جميع اليهود (أع 22: 12)... و يذكره التقليد الكنسى على أنه أحد السبعين رسولاً، وأسقف دمشق (22) ...

(21) انظر: أف 3: 1، 4: 1، 2: 1، 8: 9، غل 9.

(22) سنكسار الكنيسة القبطية تحت يوم 27 بؤونة، وسنكسار الروم الكاثوليك فى أول تشرين الأول - انظر:

Smith, Dictionary of the Bible, Vol 1, p. 127

6- الكرازة فى فينيقية وأنطاكية وقبرص:

والكرازة فى هذه المناطق أيضاً جاءت كنتيجة للاضطهاد... أما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب استفانوس فاجتازوا إلى فينيقية وقبرص وأنطاكية، وهم لا يكلمون أحد بالكلمة إلا اليهود فقط. ولكن كان منهم قوم، وهم رجال قبرسيون وقيروانيون، الذين لما دخلوا أنطاكية كانوا يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع. وكانت يد الرب معهم فأمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب " (أع 11: 19-21)...

على أن عبارة " لا يكلمون أحداً بالكلمة إلا اليهود فقط " الواردة فى الآيات السابقة، لا يقصد بها عدم تبشير اليونانيين كلية كمبدأ، لكنها تعنى أن الأمر سار فى بادىء الأمر فى طريق البعثات التبشيرية السابقة. لكن مالبث بعض اليونانيين أن تخطوا هذه الحدود، فكانت بداية تبشير الأمم... على أن هذا الأمر حدث كامتداد طبيعى للعمل... هكذا تأسست فى أنطاكية أول كنيسة مختلطة (يهود وأمم متصرين)، كنتيجة للتشتت الذى حدث بسبب الاضطهاد الذى أعقب مقتل استفانوس⁽²³⁾.

الكنيسة خارج أورشليم

بعد تأسيس الكنيسة المسيحية فى يوم الخمسين، إتجهت جهود الرسل الكرازية - كما ذكرنا- إلى تبشير اليهود أولاً، وعلى الأخص فى أورشليم... فقد كان لزاماً عليهم أن يشهدوا للرب أولاً أمام إخوتهم، وفى معقل اليهودية ذاتها، ويعملوا فيها علانية... وبعد تأسيس كنيسة أورشليم، تأسست كنائس فى اليهودية والجليل والسامرة وعلى شاطئ البحر المتوسط.

قد يظن البعض أن الرسل، عقب تأسيس الكنيسة مباشرة، وما بين عشية وضحاها، انطلقوا إلى أقاصى المسكونة لبشروها... لكن الواقع غير ذلك. فقد ظلت جهود الرسل والتلاميذ محصورة فى نطاق بلاد اليهودية لمدة اثنتى عشرة سنة تقريباً⁽²⁴⁾. وكان ذلك إتماماً لوصية الرب لهم قبيل صعوده " تكونون لى شهوداً فى أورشليم، وفى كل اليهودية والسامرة، وإلى أقصى الأرض" (أع 1: 8)... وحكمة الرب واضحة فى ذلك... فهو يريد لهم أن يسيروا وفق سنن الطبيعة، فيبدأون بالخدمة فى الحقول الصغيرة كمقدمة لحقل العالم الواسع، و يتدرجون من الأسهل الى الأصعب والأعقد.

(23) Weiss, Earliest christianity, Vol. 1, pp. 171-179, Harnack, Mission., pp. 52,53.

(24) تقليد قديم ذكره كليمنضس الاسكندرى، وأورده يوسابيوس المؤرخ- انظر: Eusebius, H.E., 5.18.13

وهكذا، فإنه بفضل هذه الخطة الإلهية الحكيمة استطاعت المسيحية أن تنتشر إنتشاراً ملحوظاً في خلال الخمسة عشر عاماً الأولى... لكن ينبغي ألا نكون مبالغين في تقديرنا لاتساع دائرة الإيمان، سواء من ناحية الأماكن التي وصلت إليها الكرازة، أو من ناحية أتباع الديانة الجديدة... والواقع أن المسيحية شقت طريقها بصعوبة إلى العالم اليهودي خارج أورشليم. ولا شك أن يوسابيوس المؤرخ كان مبالغاً جداً حينما قال، إنه خلال حكم الامبراطور طيباريوس - أي قبل سنة 37 م [أنار تعليم المخلص كل العالم بسرعة كأشعة الشمس. وللحال خرج صوت الإنجيليين والرسول الملهمين إلى كل الأرض، وإلى أقصى المسكونة كلماتهم. وسرعان ما تأسست الكنائس في كل مدينة وقرية، وامتلت بجماهير الشعب كبيدر ملىء بالحنطة(25).

والآن نستعرض مركزين هامين من مراكز المسيحية خارج أورشليم: دمشق وأنطاكية ...

دمشق:

هي أول مركز نلتقى به خارج أورشليم. ويمدنا سفر الأعمال بمعلومات عنها في موضوعين. أولهما ما يتعلق بقصة إهتداء بولس حوالى سنة 37 على مقربة منها، عقب الرؤيا التي رآها (أع 9: 1-9). أما الموضع الثانى فهو (أع 11: 19) حين يربط كاتب سفر الأعمال بين "الذين تشتتوا من جراء الضيق الذى حصل بسبب (مقتل) إستفانوس" وبين التبشير فى فينيقية- التى كانت دمشق تعتبر جزءاً منها.

وإذا كان حادث إيمان شاول الطرسوسى قد وقع حوالى سنة 37 م، فمعنى ذلك أنه كانت قد تأسست فى دمشق جماعة مسيحية قبل ذلك التاريخ. لأن الرؤيا التى ظهرت لشاول قرب دمشق، كانت وهو فى طريقه للانتقام من هذه الجماعة المسيحية... وهؤلاء المسيحيون لابد وأنهم كانوا يهوداً قبل إيمانهم، وإلا لما وقعوا فى دائرة إختصاص رئيس كهنة اليهود فى أورشليم، الذى زود شاول برسائل من أجلهم... وأيضاً لأن بشرى الخلاص- حتى ذلك الوقت- كانت لا تعرض إلا لليهود فقط (أع 11: 19)... كان المسيحيون وقتئذ يدعون "رجال الطريق" (أع 9: 2) وهو إصطلاح يهودى

(25) H.E, 2.3.

خالص، للتعبير عن شيعة جديدة⁽²⁶⁾... كما أن حننيا الذي أعلن له الرب عن إهتداء شاول، وهو الذي عمده كان أسقفاً على دمشق، ويذكره سفر الأعمال بأنه رجل تقى حسب الناموس ومشهود له من جميع اليهود السكان فيها (أع 22: 12).

وماذا أيضاً عن جماعة دمشق المتنصرة؟

كانت الجماعة المسيحية في دمشق من اليهود اليونانيين أصلاً... وإن لم تكن كل الجماعة من هؤلاء اليونانيين، فلا أقل من أن جزءاً منها كان من اليونانيين. وثمة نقطة أخرى تساعد على إلقاء ضوء على هذه الجماعة. فقد كشفت الحفائر الحديثة عن قانون جماعة يهودية تأسست في دمشق، من طراز الاسينيين الذين اكتشفت خرائبهم في قمران عند البحر الميت... وبالمقارنة يظهر أن الجماعة المسيحية التي تأسست في دمشق كانت أصلاً من الصدوقيين المتنصرين. وكانت هذه الجماعة لا تقيم بمدينة دمشق ذاتها، بل في المنطقة الصحراوية المجاورة لها... ويعتقد المؤرخ هرناك Harnack أن مركز هذه الجماعة كان في قرية كوكبا Kokba ويربط هرناك بين مركز هذه الجماعة، وبين تقليد قديم يقول إن الرؤيا التي ظهرت لشاول الطرسوسي كانت في نفس هذه البقعة. كانت قرية كوكبا تقع على بعد عشرة أميال جنوب غربي دمشق. وهذا الموقع يتمشى مع رواية سفر الأعمال عن قصة إيمان شاول، أنها حدثت قرب دمشق (أع 9: 3، 22: 6).

وثمة علاقة أخرى يراها البعض بين القديس بولس وقرية كوكبا... أنهم يرون أن كلمة "العربية" التي إنطلق إليها القديس بولس من دمشق بعد إهتدائه (غل 1: 17) هي قرية كوكبا الواقعة في الصحراء... و يدللون على هذا الرأي، بأن كلمة العربية في ذلك الوقت كانت تعني مملكة النبطيين⁽²⁷⁾، التي كانت تمتد من دمشق شمالاً إلى بترا Petra العاصمة جنوباً⁽²⁸⁾.

أنطاكية:

كانت مدينة أنطاكية الواقعة على شاطئ نهر الأورنتس Orontes في سهل خصيب، هي المقر القديم لملوك سوريا. وغدت عبر التاريخ أحد

(26) انظر (أع 19: 9) حيث يُذكر أن بعض اليهود المتعصبين في أفسس كانوا " يتقسون ولا يقتنعون شاتمين الطريق "، ويقصد بالطريق هنا جماعة المسيحيين- انظر: Danielou, Vol. 1, p.22.

(27) شعب عربي، وكانت مملكتهم تشغل أدوم وجنوب شرقي الأردن، وجنوب شرقي سوريا انظر (مكابيين الأول 5: 25)،

Hastings Dictionary of the Bible, p.46, Oxford Bible Atlas

(28) Danielou, vol. 1.pp.22-24.

معقل الحضارة الوثنية، ومركزاً هاماً للثقافة الاغريقية. بل كانت إحدى المراكز الكبيرة التي التقى فيها الشرق بالغرب، وإختلطت فيها ثقافتها... كانت مدينة دولية، سكانها الأساسيون من السريان، لكن كان فيها كثرة من اليونانيين واليهود... وهكذا أصبحت أنطاكية - بمبانيها الجميلة، وعدد سكانها الكبير، وتجارتها الواسعة، وتفوقها الفنى، وثرائها العريض- تعتبر ثالث مدن الامبراطورية بعد روما والاسكندرية.

كان تأسيس كنيسة مسيحية فى أنطاكية حدثاً هاماً ذا نتائج ضخمة بالنسبة للكنيسة الأولى، وكان تدبيراً إلهياً هاماً، بفضل وضع المدينة ومركزها الجغرافى الممتاز... وهكذا أصبحت الكنيسة الانطاكية مركز الانطلاق لنشر الإيمان الجديد... فقد أصبح ممكناً أن ينتقل هذا الإيمان- بعد فصله مما علق به من العادات اليهودية المعقدة - إلى أنحاء الامبراطورية الأخرى... يضاف إلى ذلك، أن قصر المسافة بينها وبين أورشليم، جعلها قادرة على الإتصال الدائم بالكنيسة الأم فيها(29).

يرجع تبشير أنطاكية إلى الذين تشتتوا من أورشليم من جراء الضيق الذى حصل بسبب مقتل استفانوس، كان بين هؤلاء تلاميذ من قبرص ومن القيروان بشروا اليونانيين، أى الوثنيين، فأمن عدد كبير منهم (أع 11: 19-21). وهكذا تبدو أنطاكية كالمركز الأول الهام لجماعة وثنية متنصرة... كان لليهود فى أنطاكية جالية لا بأس بها، لكن الإرسالية المسيحية لم تحصر ذاتها داخل حدود المجمع اليهودى... كان هؤلاء التلاميذ القبرصيون والقيروانيون يمثلون أكثر أعضاء كنيسة أورشليم تحراً فى المفاهيم الإيمانية بالنسبة لليهودية، و يرجح أنهم كانوا على صلة باستفانوس(30). ومن ثم فقد قصدوا تبشير الوثنيين... لقد قبل كثيرون منهم الإيمان الجديد. وهكذا تأسست أول كنيسة مسيحية خارج اليهودية والسامرة. وهكذا فتحت أبواب العالم للإرساليات المسيحية - تلك الأبواب التى احتفظت بها اليهودية مغلقة. ومنذ ذلك الوقت، أخذ الدين الجديد وضعه السليم... كان يدعو اليونانيين كما يدعو اليهود، وفى كل مكان فى العالم. وارتفعت الكنيسة - ولأول مرة- لفهم كلمات رب المجد " الحقل هو العالم " (مت 13: 38).

وفى بداية تكوين الجماعة المسيحية فى أنطاكية أرسل الرسل من أورشليم برنابا إليها. وكانت خدمة برنابا فى أنطاكية مثمرة جداً " فانضم

(29) Ibid, p. 24.

(30) De pressensé, Vol. 1 pp. 75,76.

إلى الرب جمع غفير" (أع 11: 22). وإذ وجد برنابا أن الحصاد كثير، سافر إلى طرسوس وأحضر معه شاول (بولس) إلى أنطاكية، وظلا يخدمان بها سنة كاملة (أع 11: 26) وصارا القائدين الفعليين للخدمة هناك.

إمتازت كنيسة أنطاكية في هذه الفترة المبكرة بكثرة مواهبها الفائقة. فوجد فيها أنبياء كثيرون (134: 1-3) ... كما إمتازت بتحلل المسيحية فيها من قيودها اليهودية، وانطلاقها في كامل حريتها وجمالها. ففيها عرفت المسيحية - ولأول مرة- باسمها الحقيقي " ودعى التلاميذ (المؤمنون) مسيحيين في أنطاكية أولاً " (أع 11: 26) ... لقد خلعت المسيحية على أتباعها اسمها اليوناني الخاص. وكان مسيحيو فلسطين يسمون "ناصرين"⁽³¹⁾ (أع 5: 24). وهذه التسمية، إما أن الشعب هو الذى أطلقها بعد أن أبصروا تطور المسيحية وتقدمها، وإما أنه اسم دمغهم به خصومهم من الأمم... ومهما يكن من أمر، فإن هذه التسمية "مسيحيين" فى حد ذاتها برهان على أن الجماعة الجديدة فى أنطاكية، وقفت فى شجاعة متميزة عن اليهودية، وأن الكنيسة لم تعد مجرد شيعة يهودية⁽³²⁾... يضاف إلى هذا أن فى أنطاكية- وربما للمرة الأولى- عاش الأمم واليهود المنتصرون جنباً إلى جنب متجاورين، فى الوقت الذى ظل اليهود أوفياء لعاداتهم اليهودية وناموسهم، الذى كان يمنعهم من الأكل مع غير اليهود، كما مع الوثنيين المنتصرين... كانت هذه هى المشكلة التى واجهت بطرس الرسول فى أنطاكية، وبسببها قاومه بولس الرسول واتهمه بالرياء (غل 2: 11-14).

حركة التهود

حركة التهود من الحركات الكبيرة والقوية، التى صاحبت نشأة الكنيسة المسيحية فى عصرها الرسولى، والتى انبثقت من داخلها... قام بها بعض من آمن من اليهود المتزمتين، بهدف أن يلتزم كافة المسيحيين- سواء كانوا من أصل يهودى أو وثنى- بالناموس اليهودى القديم... وقد كان لهذه الحركة دوافع ونتائج... ويزيد من أهميتها أن بعض نتائجها- بصورة غير مباشرة- مازالت حية حتى الآن فى الكنيسة المسيحية كما سنرى... لذا

(31) لم تطلق هذه التسمية على الرب يسوع وعلى المسيحيين من الخارجين عن الكنيسة، بل فى داخل الكنيسة. والرب يسوع نفسه دعا نفسه بها حينما ظهر لشاول الطرسوسى- انظر: (أع 2: 22، 3: 6، 4: 10، 6: 14، 8: 22، 9: 26، لو 19: 24). انظر أيضاً: Lietzmann, pp. 131

(32) Harnack, Missions .. p. 53, De pressensé, Vol. 1, p. 77, Daniélou, Vol. 1, p. 24.

إهتمنا بأن نعرض لهذا الموضوع من كافة جوانبه...

نظرة اليهود المنتصرين للناموس اليهودي:

تعلق اليهود بناموسهم اليهودي تعلقاً كبيراً... كانوا فخورين به على أساس أنهم شعب الله المختار دون سائر الشعوب، وإن الله هو الذى أعطاهم هذا الناموس بل إن بعضه- وهو الوصايا العشر التى سلمت لموسى على جبل سيناء فى لوحين من حجر- كتب بأصبع الله (خر 32: 16، 34: 1)... ومن هنا كان اعتزازهم بناموسهم.

ويقصد بالناموس⁽³³⁾ الشرائع الدينية الأدبية والطقسية والقضائية التى حواها كتاب العهد القديم. كان اليهودى يعتبر نفسه ملزماً بهذا الناموس المكتوب، بالإضافة إلى ناموس آخر غير مكتوب، ويقصد به التقاليد الشفوية التى سلمها إليهم معلموهم، الذين ادعوا إن موسى على جبل سيناء، تسلم من الله شريعة مكتوبة وأخرى شفوية... وكان اعتقاد اليهود أن كسر أية وصية هو تعد على الناموس بأكمله.

انبثقت المسيحية من اليهودية، بعد أن أكمل السيد المسيح فى شخصه الناموس القديم. فقد ولد فى ظل هذا الناموس (غل 4: 4)، بل لقد قال: "لا تظنوا أنى جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء، ما جئت لأنقض بل لأكمل" (مت 5: 17). والسيد المسيح بتجسده جاء أولاً إلى خاصته من اليهود (يو 1: 11). وحينما أرسل رسله فى إرساليات تدريجية، أرسلهم إلى خراف بيت إسرائيل الضالة (مت 10: 6)... وقبيل صعوده أوصاهم أن يشهدوا له فى أورشليم وكل اليهودية، قبل أن يشهدوا له فى السامرة وأقصى الأرض (أع 1: 8). ومعنى هذا أن بشرى الخلاص قدمت لليهود أولاً... هؤلاء اليهود الذين تمسكوا بالناموس وحرفيته، وظنوا أن لا شئ ينسخه أو يعدله أو يحل محله...

حاول اليهود المنتصرون أن يبنوا على هذا الأساس: إحتفاظهم بالناموس القديم مع إيمانهم بيسوع المخلص الذى تنبأت عنه كتب العهد القديم... وهكذا أرادوا أن يجعلوا رقعة جديدة على ثوب عتيق، وأن يجعلوا خمراً جديدة فى زقاق عتيقة (مت 9: 16، 17)..

وقد استمر هؤلاء اليهود المنتصرون متأثرين تأثراً عميقاً بيهوديتهم، وكانوا يشاركون شعبهم اليهودى حياته... ويذكر سفر أعمال الرسل أن الذين آمنوا منهم كانوا جميعاً "غيورين للناموس" (أع 21: 20). ومعنى

(33) كلمة يونانية Nomos وتعنى قانون.

هذا أن الأطفال كانوا يختنون، وطقوس التطهير تراعى (أع 21: 26، 18:24). وقد شارك مسيحيو أورشليم في الصلوات التي كانت تتلى يومياً في الهيكل⁽³⁴⁾. وامتنعوا عن أكل الأطعمة التي اعتبرت نجسة⁽³⁵⁾ في العهد القديم (أع 10: 14). وهكذا ظهر المسيحيون الأوائل على أنهم يهود غيورون رافقتهم بركة الرب (أع 5: 13). وكأنهم قد شكلوا جماعة خاصة داخل كيان إسرائيل⁽³⁶⁾. ومهما يكن من أمر، فطالما بقيت المسيحية في مهدها اليهودي، فقد اعتقد جميع المؤمنين أنهم ملتزمون بالناموس. لكن ما لبثت بشرى الخلاص أن وصلت إلى الأمم الوثنية بصورة فردية. وعلى الرغم من أن الأمر تم بناء عن إعلان إلهي، فقد قوبل بالدهشة والمقاومة، على نحو ما حدث في حالة إيمان وعماد كرنيليوس قائد المائة الأممي وأهل بيته⁽³⁷⁾، وتبشير اليونانيون الوثنيين في أنطاكية (أع 11: 20، 21).
نظرات مختلفة للناموس:

كان نتيجة إيمان الأمم وإقبالهم على الإيمان بالمسيح، أن ظهرت في الكنيسة الأولى ثلاث وجهات نظر بين اليهود المتتصرين، فيما يختص بالتزامات الناموس⁽³⁸⁾:

1- فريق رأى أن الناموس ملزم لجميع المسيحيين بلا إستثناء، ونوال الخلاص مرتبط بحفظه. وفي رأى هذا الفريق - ومعظمهم من الفريسيين السابقين- أن يسوع المسيح هو المسيا اليهودي الموعود به، ولا مكان في ملكوته إلا لليهود، سواء بالمولد أو التبني، الذين يطيعون الناموس والفرائض التي وضعها الله على شعبه منذ القديم... وقد أيدوا وجهة نظرهم هذه، بالقول إن الرب يسوع نفسه حفظ الناموس.

2- فريق ثان نادى بأن الخلاص هو بدم المسيح وحده، وليس بحفظ الناموس القديم. وقد كان الناموس اليهودي، لليهود فقط، لإعداد الطريق

(34) انظر: أع 2: 46، 1: 3، 21: 5.

(35) التمييز بين ما هو طاهر ونجس من الحيوانات في العهد القديم، كان إشارة ورمزاً إلى التمييز بين البشر: ختان وغرلة أو يهود وأمم. وفي الرواية التي أعلنت لبطرس الرسول بخصوص كرنيليوس، قال بطرس إنه لم يأكل قط شيئاً دنساً أو نجساً. وهو هنا تكلم كيهودي، أما الرد الذي اقتبله من الله، فإنه يظهر معنى العهد الجديد، وأن الله بدم الفداء طهر كل ما هو نجس وانتهى عهد التمييز بين شعب مقدس وآخر غير مقدس، كالحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة.

(36) Daniélou, Vol. 1, p. 12

(37) أحدث إيمان كرنيليوس وأهل بيته على يد بطرس الرسول رد فعل شديد في مؤمنى أورشليم من اليهود المتتصرين. فقد خاصموا بطرس حالما صعد إلى أورشليم لأنه دخل إلى رجال ذوى غلظة وأكل معهم ... ولم يهدأوا إلا بعد أن شرح لهم بطرس كل القصة ابتداء من الرواية التي أعلنت له انظر (أع 10، 11: 8-1).

(38) Hill, pp. 116-118.

للمسيح "قد كان الناموس مؤدبنا إلى المسيح، لكي نتبرر بالإيمان" (غل 3: 24)... ولا قيمة لهذا الناموس اليهودي الآن بعد أن أتى المسيح⁽³⁹⁾... وكان يقود هذا الإتجاه و يدافع عنه بشدة القديس بولس الرسول.

3- فريق ثالث رأى أن الناموس ملزم لليهود المنتصرين فقط، أى للمسيحيين الذين كانوا قبلاً يهوداً وكانوا تبعاً لذلك ملتزمين بالناموس.. وقالوا إن قبولهم للرب يسوع كالمسيا المنتظر لا يحررهم منه. لكن الأمم غير ملتزمين به بعد أن يؤمنوا.

بلبله في أنطاكية:

بينما كان القديسان بولس وبرنابا عاكفين على خدمتهما الكرازية في أنطاكية إذ ببعض اليهود المنتصرون المشتغلين غيرة للناموس، قد قدموا من اليهودية، وأخذوا يعلمون المسيحيين- من اليهود والأمم على السواء- بأن لا خلاص لمن لا يختن حسب الناموس... و يبدو أنهم أخذوا يطعنون القديس بولس بالذات و يشككون المؤمنين في قانونية رسوليته، وفي حقه- كرسول- فى أن يعلم بعدم الإلتزام بالناموس... وإذ لم تفلح جهود برنابا وبولس فى إقناع هؤلاء القادمين، وبسبب البلبله الكبيرة التى حدثت، قررت الكنيسة فى أنطاكية أن ترفع الأمر إلى الكنيسة الأم فى أورشليم حتى تحسم الأمر، وأنابت عنها القديسين برنابا وبولس فى السفر إلى أورشليم⁽⁴⁰⁾ (أع 15: 1، 2).

مجمع أورشليم(41):

عقد هذا المجمع سنة 50 أو 51⁽⁴²⁾... كان أول مجمع كنسى يعقد، ويعتبر نواة للمجامع الكنسية التى عقدت بعده، وإن اختلف عنها كثيراً... كانت مهمة المجمع مزدوجة: أولاً- تقرير العلاقة الشخصية بين رسل الختان و الأمم، وتقسيم حقول الكرازة بينهم، وثانياً- حسم موضوع الختان، وتقرير العلاقة بين المنتصرين من اليهود والأمم... وقد أحرز المجمع بالنسبة للنقطة الأولى، تقدماً كاملاً ونهائياً. أما بالنسبة للنقطة الثانية فقد أحرز إستقراراً جزئياً ووقتياً...

(39) لا يقصد بطبيعة الحال التحلل الكامل من كل شرائع الناموس، إنما المقصود ألا يلتزم المسيحيون بالأشياء التى كانت رمزاً فقط إلى أشياء أخرى فى العهد الجديد، وقد بطلت بمجىء المرموز إليه. مثال ذلك الختان وهو من أهم ما تعلق به هذا الفريق. كان الختان يرمز إلى معمودية العهد الجديد. فكان بطبيعة الحال لا بد وأن يبطل الختان كفريضة دينية- وبالإضافة إلى الختان، حفظ السبت... إلخ.

(40) Schaff, Vol. 1, pp. 335-339.

(41) Schaff, Vol. 1, pp. 339-345, De pressensé, Vol 1, pp. 125-138, Hill, pp.119, 120

(42) يعد إيمان بولس الرسول بأربعة عشر عاماً (غل 2: 1).

وإن كان سفر أعمال الرسل لم يسجل لنا كل ما دار من مناقشات فيما يختص بهذا المجمع، لكننا نعتقد أن مناقشات فردية بين الرسل سبقت وصاحبت إنعقاد المجمع الرسمي، الذي إشتراك فيه فئات مختلفة من أعضاء الكنيسة... في هذه المناقشات الفردية، حل موضوع قانونية رسولية بولس " وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بالإنفراد على المعتبرين لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً" (غل 2: 2): لم يشيروا عليه بأية تعديلات في منهج خدمته، ولا أعطوه أية توجيهات أو توصيات، بل إذ رأوا التوفيق العجيب الذي أحرزه بولس وبرنابا في حقل الكرازة بين الأمم، أعطوهما يمين الشركة ليكونا للأمم، وأما هم فللختان (غل 2: 8، 9) ... كل ما هنالك، أنهم طلبوا من بولس أن يظهر حبه الأخوى، ويقوى العلاقات، بأن يعاون فقراء اليهودية عامة، وأورشليم بوجه خاص، الذين كثيراً ما كانت تحل بهم الاضطهادات والمجاعات. وكان بولس قد عنى قبل ذلك بخدمة المحبة هذه، وقام بها فعلاً بفرح وعن إيمان، بالجمع من كنائس الأمم، وكان يحمل العطاء بنفسه إلى أورشليم (غل 2: 7-10)⁽⁴³⁾ ... هكذا ظهرت روح الآباء الرسل طيبة نحو بولس وبرنابا، كما ظهر تقديرهم لهما في قرار المجمع النهائي... " حبيبينا برنابا وبولس، رجلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح " (أع 15: 25، 26).

أما عن الموضوع الرئيسي، الذي إنعقد المجمع لأجله، وهو موضوع " تهود الأمم "، أو الزام الأمم الداخلين إلى الإيمان بحفظ ناموس موسى، فبعد مباحثات كثيرة، تكلم بطرس وبعده برنابا وبولس، وأخيراً يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم ورئيس المجمع... وأنتهى المجمع إلى القرار الآتي: " لا يوضع على المؤمنين ثقل أكثر غير هذه الأشياء الواجبة، الامتناع عما ذبح للأصنام، وعن الدم والمخنوق والزنا " (أع 15: 28، 29).

ملاحظات على المجمع وقراراته:

1- رأس هذا المجمع القديس يعقوب أخو الرب أسقف أورشليم، وليس القديس بطرس كما يدعى البعض. ولم يكن بطرس هو أول المتكلمين في المجمع، أو بعبارة أخرى لم يكن هو الذي إفتح المجمع. فكلمة بطرس جاءت " بعدما حصلت مباحثة كثيرة " (أع 15: 7) ... وكان كلامه عن خبرته السابقة في موضوع إيمان كرنيليوس الأسمى... أما يعقوب فكان آخر المتكلمين وأكثرهم أهمية، وكان لكلامه وزن كبير أنهى مناقشات

(43) قارن: أع 30: 11، 17: 24، 16: 1-3، 2: 8، 9، رو 15: 25-27

المجمع (44).

2- كانت المناقشات والمباحثات كثيرة (أع 15: 7) ... لكن الروح القدس كان أيضاً حاضراً معهم، وقاد هذه المناقشات، ومن ثم صدر قرار المجمع أخيراً باسمه متحداً مع الكنيسة " لأنه قد رأى الروح القدس ونحن ... " (أع 15: 28) - وليس باسم بطرس... إنها صورة مشرقة لروحانية الكنيسة الأولى، ولما يجب أن تكون عليه المجمع الكنسية.

3- أحضر القديس بولس معه تيطس اليوناني الأممي... و يبدو أنه أحضره ليقدم لكنيسة أورشليم عينة حية لما يمكن أن يفعله روح الله في الإنسان بدون الختان (غل 2: 1) - ويبدو أن فريق الفريسيين السابقين طالبوا بختانه. لكن بولس صمد وقاوم بشدة⁽⁴⁵⁾ " الذين لم ندعن لهم بالخضوع ولا ساعة ليبقى عندكم حق الإنجيل " (غل 2: 5).

4- بخصوص قرار المجمع فإنه لم يلزم الأمم بالتهود، لكنه أوصى أن يمتنع " عما ذبح للأصنام، وعن الدم، والمخنوق، والزنا " (أع 15: 29) ... وهذه النواهي هي ضمن ما كان يطالب به الأممي الذي يطلب التصريح له بحضور المجمع اليهودي، وما قرره موسى بالنسبة للأمميين إذا أرادوا أن يجعلوا مقامهم في أرض اليهود... فالطعام المقدم للأصنام، سواء ما يؤكل في الهيكل الوثني أو خارجه، كان يعتبر شركة مع الشياطين (تث 17: 32 ، 1كو 10: 20) ... والدم هو عنصر الحياة، ولذا فهو مقدس لله (تث 12: 23)، والأشياء المخنوقة مازالت تحتفظ بدمها، فلا يجب أن تؤكل تبعاً لذلك... ومن هنا، فإن هذه النواهي الثلاثة، تتمشى مع تلك التي وضعت على الغريب الذي يقيم بين بني إسرائيل (لا 17: 10، 18: 18).

هذه النواهي الثلاثة السابقة تبدو معقولة، أما النهي عن الزنا فيبدو غريباً فالزنا أمر غير مشروع لدى المسيحيين والأمميين على السواء. من

(44) Schaff, vol. 1, pp. 344, 363, De Pressense, Vol. p. 133.

خلاصة تاريخ كنيسة أورشليم الأرثوذكسية ص 5.

(45) كيف يتفق موقف بولس الرسول هنا مع موقفه فيما يتعلق بتيموثاوس الذي ختنه بعد أرفض المجمع مباشرة (أع 16: 3)؟! يبدو أن بولس ختن تيموثاوس كيهودي وليس كأمني. وقد فعل ذلك كنوع من الملاءمة الإرادية، حتى ما يجعله أكثر نفعاً للخدمة بين بني جنسه من اليهود، الذين كانوا يعرفون أنه ابن امرأة يهودية مؤمنة. فما كان ممكناً أن يسمحوا له بالتعليم في المجمع بدون علامة العضوية وهي الختان ... أما في حالة تيطس - وهو يوناني أممي خالص - فكان مطالباً بالختان كأساس للتبرير والخلص ... كان بولس شديد الصلابة في وقوفه أمام الإخوة الكذبة - لكنه كان مستعداً دائماً أن يوانم نفسه مع الضعفاء، وأن يصير لليهودي كيهودي، وللأمم كأمني لكي ما يخلص كليهما (قارن رو 14، 15، 1كو 9: 19-23، أع 21: 23-26). ثم أن بولس كان لا يهمله موضوع الختان أو عدمه كطقس ظاهري فقط بالمقارنة مع حفظ وصايا الله والخليقة الجديدة في المسيح. (انظر غل 5: 6، 6: 15، 1كو 7: 19) - انظر أيضاً:

.Schaff, Vol. 1, pp. 342,343

أجل هذا رأى كثيرون أن الزنا المشار إليه في قرار مجمع أورشلين، إنما يُقصد به الزيجات المحرمة⁽⁴⁶⁾، كالحالة التي أشار إليها بولس في (1كو5: 1)... ورأى البعض الآخر أن المقصود هو الزنا المعروف، لأن خطايا النجاسة كان ينظر إليها باستخفاف في العالم الوثني. وكانت توجد معابد- كثيرة مستخدمة كأماكن دينية للدعارة !! وكان بولس دائماً يحذر المتصرين على يديه من الدنس الجنسي.

هل أنهى مجمع أورشلين مشكلة التهود؟

لم ينه مجمع أورشلين بقراره، المناقشات والآراء التي إحتدمت بخصوص تهود الأمم، والأزمات التي نتجت عن هذا الموضوع... بل إن نشاط بولس الرسول الجبار، وكرازته الفعالة المتسعة، زادت من حدة التوتر... ولم يكن ما دار بمجمع أورشلين، وما أصدره من قرارات مقتعاً للمتزمطين، بل كان لهم بمثابة الهزيمة. ومن ثم هبوا ثانية- وبمرارة أكثر من ذي قبل- ونظموا إرساليات مضادة، للحد من نشاط القديس بولس، والترويج لمبادئهم. أو بعبارة أخرى، لهدم بولس ونقض تعاليمه...

أخذ هؤلاء "الإخوة الكذبة" حسبما يدعوهم بولس، يتعقبونه في كل حقل كرز فيه تقريباً، خاصة في غلاطية وكورنثوس... ويبدو أنه كان موقفاً منطقياً من جانب هؤلاء المتزمطين، بعد أن اعتبرت حركة التبشير بالإنجيل هي نفسها إعلان الله للبشر قديماً على يد اليهود، لكن في صورته الكاملة... لم يكن هؤلاء المتزمطون يتخيلون، أنهم سينفصلون يوماً ما عما انحدر إليهم كل ما كان يمكن أن تفعله المسيحية- حسب تصورهم - هو يهودية موسعة متحورة، يتألف جوهرها من الاعتراف بالإيمان بالمسيا اليهودي... كان هؤلاء الإخوة الكذبة، بالنسبة لبولس شوكة- وإن لم تكن في جسده... يستعرضهم أمامه، ويشير إليهم وإلى تعليمهم الخاطئ، ويهاجمهم ويهاجمهم في معظم رسائله⁽⁴⁷⁾...

وكدليل على استمرار واستفحال مشكلة التهود بعد مجمع أورشلين، نسوق الأمثلة الآتية:

1- في أنطاكية:

حدثت بلبلية شديدة في أنطاكية عقب مجمع أورشلين مباشرة، بعد وصول تلاميذ من عند يعقوب أخى الرب إليها. كان بطرس الرسول موجوداً

(46) Hill, pp. 124-129, Danielou, Vol. 1, p.30.

(47) Schaff, Vol. 1, pp. 358, 359, Carrington, Vol. 1, p. 87.

فى ذلك الوقت فى أنطاكية إلى جانب بولس وبرنابا. وقد كان مجيء هؤلاء التلاميذ، ليروا إلى أى مدى يلتزم المنتصرون بالناموس " ليتجسسا حريتنا التى لنا فى المسيح كى يستعبدونا " (غل 2: 4) ... وقد أثمرت مساعى هؤلاء، فبدأ بطرس- وكان موجوداً وقتذاك فى أنطاكية- وبرنابا وبعض اليهود المنتصرين يمتنعون عن مخالطة الأمم (غل 2: 12، 13)، بعد أن كانوا يأكلون مع المنتصرين من الأمم فى ولائم الأغابى التى تتم إجتماعات العبادة، كتعبير عن الإخوة المسيحية.

كان هذا التصرف من جانب القديس بطرس غريباً، واعتبره القديس بولس رياء. وعندما ذكر هذا الحادث لكنيسة غلاطية قال: (لكن لما أتى بطرس إلى أنطاكية قاومته مواجهة لأنه كان ملوماً لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب كان يأكل مع الأمم. ولكن لما أتوا كان يؤخر ويفرز نفسه خائفاً من الذين هم من الختان. وراعى معه باقى اليهود أيضاً، حتى برنابا أيضاً إنقاد إلى ريائهم " (غل 2: 11-13) ... ولا ندرى سبباً لإنقلاب بطرس فى تصرفه. هل عاودته طبيعته القديمة، وأنكر فى هذه المرة حق التلاميذ الأممييين بعد أن دافع عنهم فى مجمع أورشليم⁽⁴⁸⁾؟! يبدو أن ضغط هؤلاء التلاميذ الوافدين من عند يعقوب كان شديداً، حتى أن برنابا الذى وقف إلى جانب بولس فى الدفاع عن حقوق الأممييين، انحاز إلى بطرس و باقى اليهود⁽⁴⁹⁾.

لكن من يكون هؤلاء التلاميذ الوافدون من عند يعقوب؟ هل قصد بهذه العبارة أنهم مرسلون من قبله، أم أنهم من رعيته فقط؟
يميل كثير من العلماء- والنص الكتابى واضح- أنهم كانوا موفدين من قبله ... ولو كانوا لا يعبرون عن رأى يعقوب لما عمل لهم بطرس أى حساب فالقديس يعقوب أخو الرب كان شخصية قوية لها مكانتها ووزنها- ليس بين المسيحيين وحدهم، بل حتى بين اليهود أنفسهم⁽⁵⁰⁾ ... والقديس بولس حينما يذكره، يقدمه على بطرس " فإذ علم بالنعمة المعطاة لى يعقوب وصفا (بطرس) ويوحنا المعتبرون أنهم أعمدة... " (غل 2: 9). وقد رأس مجمع أورشليم، وكان رأيه الذى أعلنه أمام المجمع، هو نفس قرار المجمع... بل يبدو أنه هو نفسه الذى كتب هذا القرار، فاسلوب إفتاحية هذا القرار يتفق

(48) قال القديس بطرس فى مجمع أورشليم دفاعاً عن الأممين: " والله العارف القلوب شهد لهم معطياً لهم الروح القدس كما لنا أيضاً. ولم يميز بيننا وبينهم بشيء إذ ظهر بالإيمان قلوبهم " (أع 15: 8، 9).

(49) Schaff, Vol. 1, pp. 352-354

(50) اعتبر يوسيفوس المؤرخ اليهودي خراب أورشليم سنة 70 م إنتقاماً إلهياً عادلاً من اليهود لقتلهم للقديس يعقوب هذا

مع أسلوب إفتتاحية رسالته(51)

لكن كيف نستطيع أن نفسر هذا التناقض الظاهري في موقف القديس يعقوب بخصوص قرار مجمع أورشليم، ويمين الشركة التي أعطاها لبولس وبرنابا من ناحية، والمندوبين الذين أرسلهم إلى أنطاكية من ناحية أخرى؟! الواقع- كما يبدو لنا من الدراسة- أنه ليس ثمة تناقض في موقف يعقوب ... لقد كان الموقف حساساً للغاية بين أهل الختان... كان حماسهم شديداً للناموس القديم، وثقل عليهم أن يتخلوا نهائياً وللحال عن طقوسهم القديمة التي تشبعت بها وقتاً طويلاً... كانت الآمال معقودة على القديس يعقوب لما له من مكانة ممتازة بين المسيحيين من الفريقين. وكان هو يرأس الكنيسة الأم في أورشليم... ولعله أراد أن يقود سفينة الكنيسة بحكمة وسط عواصف التهود التي ثارت، ويقود المتحمسين لموسى برفق إلى المسيح. ويؤيد هذا التعليل ما دار من حديث بين القديس يعقوب ومعه خدام كنيسة أورشليم، والقديس بولس في زيارته الخامسة والأخيرة إلى أورشليم حوالي سنة 58 م(52)

2- في غلاطية:

وفي غلاطية حدثت بلبلة كبيرة، أحدثها اليهود المنتصرون وبلغ من قوتها وعنفها ونتائجها، أن اليهود المنتصرين لم يعودوا وحدهم إلى ممارسة عوائدهم اليهودية، بل إن الأمر امتد إلى الوثنيين المهتدين (غل 5: 2). والرسالة إلى غلاطية رائعة ووافية في إلقاء ضوء كاف على حركة التهود، ورأى القديس بولس بشأنها، وموقفه إزائها. تلك الرسالة التي كتبت بعد مجمع أورشليم بنحو خمس سنوات(53) ... في هذه الرسالة يعالج الرسول بولس الموضوعين الأساسيين اللذين كان يروج لهما هؤلاء الإخوة الكذبة، وهما قانونية رسوليته(54)، وموضوع التهود ...

يبدأ بولس بالدفاع عن قانونية رسوليته فيفتح الرسالة بقوله: " بولس رسول، لا من الناس، ولا بإنسان، بل بيسوع المسيح والله الأب... أعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسان. لأنى لم

(51) قارن (أع 15: 23) مع (بع 1: 1).

(52) . انظر بامعان: أع 21: 17-26. لكن هل يمكن تفسير موقف بطرس في أنطاكية حينما امتنع عن مخالطة الأممين، على أنه هو الآخر كان في موقف حساس لكونه رسول الختان وكان لا يريد أن يضع عثرات في سبيل خدمته الكرازية؟! تساؤل لا يمكننا إعطاء إجابة قاطعة ومقتعة عنه ...

(53) Schaff, Vo. 1, p. 763, Carrington, Vol. 1, p. 88, The book of the Acts of God , p. 321, Wuest, Galatians in the Greek N.T., pp. 11-23

(54) أى أنه رسول من قبل الرب يسوع نفسه، وأنه لا ينقص شيئاً عن فانقي الرسل (2 كو 5: 11).

أقبله من عند إنسان ولا علمته. بل بإعلان يسوع المسيح، (غل 1: 11، 12).

ثم ينتقل الرسول للكلام عن ضلالة اليهود التي يريد أن ينقذهم منها فيقول لهم: "إني أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعاً عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل⁽⁵⁵⁾ آخر. ليس هو آخر. غير أنه يوجد قوم يزعمونكم، ويريدون أن يحولوا إنجيل المسيح. ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن محروماً... لأنه بأعمال الناموس لا يتبرر جسد ما..." ثم تأخذه الغيرة على خلاص أنفسهم فيقول لهم: "أهكذا أنتم أغبياء. أبعدهم ما ابتدأتم بالروح تكلمون الآن بالجسد. لأنه فى المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة" (غل 1: 6-8، 2: 16، 3: 3، 6: 16).

3- فى أفسس وبعض مقاطعات آسيا:

لقى القديس بولس فى هذه المناطق مقاومة عنيفة من اليهود المنتصرين. ففى رسالتيه إلى الكورنثيين اللتين كتبهما حوالى سنة 57، يقول: "ولكننى أمكث فى أفسس إلى يوم الخمسين، لأنه قد انفتح لى باب عظيم فعال، و يوجد معاندون كثيرون... لا نريد أن تجهلوا أيها الإخوة من جهة ضيقنا التي أصابتنا فى آسيا أننا نتقلنا جداً فوق الطاقة حتى أيسنا من الحياة أيضاً" (1كو 16: 8، 9، 2كو 1: 8-10) ... و يذكر أنه واجه الوحوش فى أفسس (1كو 15: 32)، كناية عن شدة المقاومة التي لقيها، فإن ذلك كله تم نتيجة العداوة التي أظهرها له اليهود المنتصرون⁽⁵⁶⁾ .. وفى رسالتيه إلى تيموثاوس، اللتين يرجح أنه كتبهما فى الفترة من سنة 64 إلى سنة 67 يتضح أنه عاد واصطدم مرة ثانية بجماعة اليهود المنتصرين فى أفسس (1تى 3: 1) ... وأخيراً يقول لتيموثاوس معبراً عما فى نفسه من مرارة وأسى: "أنت تعلم هذا، أن جميع الذين فى آسيا إرتدوا عنى" (2تى 1: 15).

فهم خاطئ لمهاجمة القديس بولس لليهود:

وثمة ملاحظة فى غاية الأهمية، تختص بموقف القديس بولس إزاء حركة اليهود، يجب الإشارة إليها، بعد أن خدعت به، واستغلته بعض الشيع

(55) كلمة إنجيل هنا وفى كل أسفار العهد الجديد كانت لا تعنى حتى ذلك الوقت الكتاب المكتوب، بل تعنى البشارة التي يحملها الرسل خاصة للأمم.

(56) Daniélou, Vol. 1, p. 34.

المسيحية البروتستانتية... فلقد اعتبرت تلك الشيع مهاجمة القديس بولس لأعمال الناموس في رسائله وتصريحاته بأنها غير لازمة للخلاص، إنها مهاجمة لمبدأ وجوب الأعمال الصالحة بصفة عامة في حياة الإنسان المؤمن كشرط لخلاصه... وبهذا أساءت هذه الشيع فهم روح هذا الرسول العظيم وجوهر كلماته الحية... فبينما هو يهاجم فكرة التهود ذاتها، و يوضح أن الخلاص بدم المسيح وليس بأعمال الناموس القديم، إذا بهم يأخذونها على أنها مهاجمة لمبدأ الأعمال الصالحة ولزومها لخلاص الإنسان... وصدق القديس بطرس الذي أشار إلى أمثال هذه الأمور بقوله: " التي فيها (رسائل بولس) أشياء عسرة الفهم، يحرفها غير العلماء، وغير الثابتين، كباقي الكتب أيضاً، لهلاك أنفسهم. فأنتم أيها الأحباء إذ قد سبقتم فعرفتم، إحترسوا من أن تنقادوا بضلال الأرياء، فتسقطوا من ثباتكم " (2 بط 3: 16، 17).

هل كانت الدعوة للتهود مظهراً لحركة سياسية؟

ثمة إشارات في رسائل بولس الرسول التي عالج فيها موضوع التهود، تدل على إنتظار هؤلاء اليهود المنتصرين مجيء الرب، الأمر الذي يرتبط بنفس آمال اليهود في ملك المسيا ومجيئه تأسيس مملكة أرضية... فهل كانت هناك أيدي يهودية تلعب دورها من أجل أغراض سياسية؟ إننا نعرض هذه الإشارات، ونضع أمامها علامات إستفهام.

(أ) كتب القديس بولس إلى أهل تسالونيكي حوالي سنة 52 أو 53 يقول: "ثم نسألكم أيها الإخوة من جهة مجيء ربنا يسوع المسيح واجتماعه إلينا، أن لا تتزعزعوا سريعاً عن ذهنكم، ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة كأنها منا، أي أن يوم المسيح قد حضر. لا يخدعنكم أحد على طريقة ما، لأنه لا يأتي إن لم يأت الإرتداد أولاً... أما تذكرون إنى وأنا بعد عندكم كنت أقول لكم هذا" (2 تس 2: 1-5)... فمن هم هؤلاء الذين يخدعونهم على طريقة ما؟ إننا نرجح أن الأمر كانت فيه يد يهودية تظهر بالمظهر الديني، يحركها دافع سياسى. وهذا ليس بعيداً عن اليهود وأساليبهم فى الخداع... بل لعله يتفق مع ما يروييه لنا يوسيفوس المؤرخ اليهودى عن اضطرابات يهودية فى تلك الفترة⁽⁵⁷⁾

(ب) فى الرسالة إلى أهل غلاطية، يقول الرسول لهم: "أتحفظون أياماً وشهوراً وأوقاتاً وسنين. أخاف عليكم أن أكون قد تعبت فيكم عبثاً" (غل 4: 4)

(57) Daniélou, Vol. 1, p. 34.

10) ... وإن كان حفظ الأوقات يتعلّق أساساً ببعض الأعياد والطقوس اليهودية، لكن الاهتمام بحساب الزمن أصلاً لم يكن إلاّ تعبير عن إنتظار المسيا(58).

(ج) ويرى البعض أن فيما دونه بولس الرسول إلى أهل رومية، ما يؤيد هذا الرأي. كتب بولس رسالته هذه حوالي سنة 58 م، ولم تتبق سوى سنوات قليلة على ثورة اليهود العارمة ضد الدولة الرومانية، وحصار أورشليم وخرابها(59). وقبل ذلك كان القوميون من اليهود يعدّون عدتهم سراً. وكان تيار القومية اليهودية يسرى خفية في أنحاء العالم اليهودي. وإزاء هذه الحركة التي أحسها الرسول بولس، كان يختلج نفسه حزن عميق من أجل إسرائيل المسكين، الذي كان يدفع نفسه إلى الهاوية... لذا قال فيهم: " إن لي حزناً عظيماً ووجعاً في قلبي لا ينقطع... لأجل إختوتى أنسبائى حسب الجسد الذين هم إسرائيليون " (رو 9: 1-4). ووجه الخطر في الأمر أن المسيحية حتى ذلك الوقت، كانت في نظر الحكام معتبرة شيعة يهودية، يحل باتباعها ما يحل باليهود. ولعله السبب الذي كتب الرسول لأجله في هذه الرسالة، موصياً أن تخضع كل نفس للسلطين الفانقة. ومن يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله(60) (رو 13: 1، 2).

(د) وتظهر التأثيرات اليهودية واضحة غاية الوضوح في موضوع "ملك المسيح الألفى" Millennium، المذكور بطريقة رمزية، وبمعنى روحى في سفر الرؤيا (رؤ 20: 2، 4، 6). فلقد اعتقد بعض المسيحيين- نتيجة الجهود والتأثيرات اليهودية- أن السيد المسيح سيملك على الأرض في أورشليم ألف سنة مليئة بالخير والسلام، ويملك معه القديسون... وواضح تماماً أن هذه عينها هي آمال اليهود الخاطئة في المسيا المنتظر(61).
مخلفات حركة التهود:

سبق أن أوضحنا أن مجمع أورشليم لم يمه بصورة قاطعة مشكلة التهود، بل أن هذه المشكلة التي أثّرت في عصر الرسل، كانت لها نتائج ومخلفات وذيول...

(58) Daniélou, Vol. 1, 35.

(59) بدأت الثورة سنة 66 م، وتم سقوط المدينة وخرابها بهيكلها سنة 70 م.

(60) Daniélou, Vol. 1, pp. 35,84.

(61) Ency. of Religion and Ethics, Vol. 5, pp. 376-389, Harnack, History of Dogma, Vol. 1, pp. 168-170, Daniélou, Vol. 1, pp. 79, 84, Austin Farrer, The Revelation, pp. 12,13, 203,204.

انظر القس تادرس يعقوب، تفسير سفر الرؤيا عن آباء الكنيسة ص 213.

1- أنهى اضطهاد نيرون المروع، وكارثة خراب أورشليم وهيكلها، مناقشات اليهود في الكنيسة المسيحية. لكن هذه الآراء تبلورت وازدادت تطرفاً، وظهرت في أوائل القرن الثاني الميلادي في هرطقة دينية، عُرفت باسم " الابيونية "(62).

2- أخذت حركة اليهود مظهراً آخر غير مقاومة التعليم الصحيح... معلوم أن خصم هؤلاء المتهودين الأكبر كان هو بولس الرسول، ومن ثم جعلوه هدفاً لمقاومتهم بصورة أخرى غير التعليم (63)... وجاء ذلك في كتابات الأبوكريفا (المزورة) التي ترجع إلى ذلك العصر، أو ما بعده بقليل، حيث نجد تأثيرهم واضحاً فيها... حاولوا الإقلال من قيمة جهود بولس الكرازية، ونسبوا بعضها إلى بعض رسل الختان، وفي مقدمتهم بطرس الرسول، رسول الختان الأول... ومن خير الأمثلة على ذلك الكتابان الأبوكريفا (أعمال الرسل) و (أعمال بطرس وبولس) (63).

3- وقد ترتب على النقطة السابقة قضية خطيرة مازالت كنيسة المسيح الجامعة، تنن منها حتى الآن... فما لبثت مادة كتب الأبوكريفا المذكورة - التي أضفت على بطرس الرسول صفات مميزة وممتازة في الجهود الكرازية- أن نمت على أيدي بعض الجهلاء والمغرضين، وحملت معها جذور فكرة رئاسة أسقف روما على العالم المسيحي... تلك الفكرة التي نمت وترعرعت في غضون العصور الوسطى المظلمة، وقسمت العالم المسيحي إلى أكثر من معسكر (64).

خراب أورشليم وهيكلها

أورشليم وهيكلها (65):

وقبل أن نتناول موضوع خراب أورشليم وهيكلها، نرى من المفيد أن نقف قليلاً ونلقى نظرة سريعة عليهما...

على الرغم من الثراء العريض الذي حققه كثير من اليهود خارج

(62) Schaff, Vol. 1, pp. 369, 370.

(63) Ibid, p. 257.

(64) Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 1, pp. 17-32

(65) Karl Kautsky, Foundations of Christianity, pp. 226-228.

اليهودية في الأقطار الأخرى، فقد كانوا يتطلعون دائماً بشوق إلى أورشليم، وما يحيط بها... كانوا يعتبرون أورشليم - وكل سكانها من اليهود- أنها المكان الوحيد في العالم، حيث يشعرون- إلى حد ما- أنهم سادة في بيتهم، وأن منها ستظهر - حسب فهمهم المادى الخاطئ- المملكة اليهودية الكبيرة الموعود بها، وفيها سيظهر أيضاً المسيا المنتظر... وهكذا كانت أورشليم مركز اليهودية في العالم كله، وقلبها النابض.

وفى عهد الرسل كانت أورشليم على جانب كبير من الثراء المادى، و بلغ عدد سكانها نحو مائتى ألف نسمة. لكنها لم تعد- كما كانت فى زمان داود وسليمان- تستمد عظمتها وثروتها من قوتها العسكرية، أو تجارتها مع شعوب فلسطين، بل من هيكل يهوه وحده... كان على كل ذكر يهودى تجاوز عمره السننتين، أينما يعيش، غنياً كان أم فقيراً، أن يسهم فى الحفاظ على الهيكل، بأن يدفع درهمين (نصف شاقل) سنوياً ضريبة للهيكل ترسل إلى أورشليم. وقد أوفى الرب يسوع هذه الضريبة (مت 17: 24).

وإلى جانب ذلك، كانت تصل إلى أورشليم تقدمات كثيرة لا تحصى.. كما كان لزاماً على كل يهودى غيور أن يحج إلى أورشليم- مرة واحدة على الأقل فى حياته- حيث مسكن إلهه يهوه... ففيه وحده يقبل الله التقدمات. هكذا ترنم داود وقال عن هذا المسكن أن الله يسكن فيه إلى الأبد (مز 68: 16) ... أما المجامع اليهودية المنتشرة فى المدن المختلفة خارج أورشليم، فكانت أماكن إجتماعات وعبادة ومدارس... لكنها لم تكن بحال ما היאكل تقدم فيها الذبائح.

لابد إذن وأن تكون ضرائب الهيكل، والحج، قد أمدتها بأموال طائلة، وانهشت الحالة الإقتصادية، وأتاحت فرصاً للعمل والكسب لكثير من اليهود ... وهكذا فإن عبادة يهوه فى أورشليم- بصورة مباشرة وغير مباشرة - قد أفادت، ليس فقط كهنة الهيكل والكتبة وحدهم، بل أيضاً أصحاب المتاجر والحرف والصيارف والفلاحين والرعاة وصيادى اليهودية والجليل، الذين وجدوا فى أورشليم سوقاً رائجة لمنتجاتهم... وإذا كان السيد المسيح قد وجد فى الهيكل باعة ومشترين وصيارف، فقد كان هذا يتمشى ووضع الهيكل بالنسبة لحياة أورشليم وشعبها.

كانت حياة اليهود وآمالهم متعلقة بأورشليم "إن نسيتهك يا أورشليم تنسى يمينى، ليلتصق لسانى بحنكى إن لم أذكرك . إن لم أفضل أورشليم على أعظم فرحى" (مز 137: 5، 6)... من أجل هذا قامت بعض محاولات

لبناء أماكن يحج إليها اليهود خارج أورشليم، لكن كل هذه المحاولات باءت بالفشل... من أمثلة ذلك، المحاولة التي قام بها شخص يدعى انياس Onias - وهو ابن لرئيس كهنة يهودى- هذا بنى هيكلًا ليهوه فى مصر فى عهد بطلميوس فيلوباتر (173- 146 ق. م)، بمعاونة هذا الملك، الذى كان يأمل أن يصبح رعاياه من اليهود أكثر ولاء له، حينما يكون لهم هيكل فى بلده... لكن هذا الهيكل فشل فى فكرته وعرضه...

وهكذا ظلت أورشليم وهيكلها قبلة أنظار اليهود فى كل أنحاء العالم، يولون وجوههم شطرها فى الصلاة، وإليها يرسلون تقدماتهم، ويحجون إليها للتبرك وتقديم الذبائح... ويحفظون لها كل ولاتهم⁽⁶⁶⁾...
بشائر مشنومة:

سبق خراب أورشليم وهيكلها بشائر مشنومة فى أورشليم ذاتها وفى خارجها نستعرض أهمها فيما يلى:

1- يذكر المؤرخون أن الست سنوات الواقعة بين إضطهاد نيرون وخراب أورشليم (64- 70 م) كانت أكثر فترات التاريخ القديم إمتلاء بالرديلة والفساد والكوارث... لقد بدأ الوصف النبوى الذى قدمه ربنا يسوع عن خراب أورشليم وهيكلها يتحقق. وبدا للمسيحيين، وكأن يوم الدينونة على الأبواب... ولم يكن هذا الإحساس قاصراً على المسيحيين وحدهم، بل شاركهم فيه كثير من الوثنيين أيضاً، حتى أن المؤرخ الوثنى تاكيتوس Tacitus حينما أخذ يسجل تاريخ روما بعد موت نيرون، بدأه بقوله: [إننى مقبل على عمل غنى بالكوارث، مليء بالمعارك الفظيعة والمنازعات والثورات... حتى فى زمان السلم. لقد قتل أربعة أمراء بالسيف. وفى وقت واحد نشبت ثلاثة حروب أهلية، وعديد من الحروب الخارجية العنيفة... إيطاليا مثقلة بكوارث جديدة أو قديمة متكررة. مدناً تبتلع أو تدفن تحت الحطام. لقد اتلفت الحرائق روما. احترقت معابدها القديمة. حتى الكابيتول أضرم المواطنون النيران فيه. أنتهكت المقدسات، وتفشى الزنا أيضاً حتى فى الأماكن السامية. إمتلأت البحار بأماكن النفى، وتخضبت الجزر الصخرية بدماء القتلى. ومازال الهياج المرعب يسود المدينة...]⁽⁶⁷⁾.

2- أما فلسطين فكانت أكثر بلاد العالم شقاء فى تلك الفترة... إن مأساة

⁽⁶⁶⁾ كانت هناك حكمة إلهية من وراء ذلك... كان الله يريد أن يجعل المكان الذى سيظهر فيه المسيح بالجسد قبلة أنظار العالم... وقد أتت هذه الخطة الإلهية بثمارها، فيما حدث يوم الخميس، يوم تأسست الكنيسة المسيحية، وأمن بالمسيح ثلاثة آلاف نفس من مختلف الأوطان واللغات، وجميعهم من اليهود.

(67) Schaff, Vol. 1, pp. 391, 392.

خراب أورشليم إنما تمثل مقدماً وبصورة مصغرة الدينونة الأخيرة، كما أنبأ عنها السيد المسيح في حديثه عن نهاية العالم⁽⁶⁸⁾... أخيراً وصل احتمال الله لشعب اليهود إلى الذروة، بعد أن فاقوا في عنادهم كل تصور، فصلبوا مخلصهم !! وما لبثوا أن رجموا يعقوب البار الذي كان أنسب إنسان يصلح اليهود مع المسيحية.

لقد ظهرت وحدثت ظواهر وأحداث عجيبة قبيل خراب أورشليم في السماء وعلى الأرض سجلها لنا يوسيفوس المؤرخ اليهودي المعاصر⁽⁶⁹⁾... ظهر فوق أورشليم ولمدة سنة كاملة، نجم مذب يشبه السيف. وحدث أن بقرة وضعت حملاً وسط الهيكل بينما كان رئيس الكهنة سيقربها ذبيحة. والباب الشرقي الداخلي الضخم المصنوع من النحاس، الذي كان يحكم أغلاقه، ويقوم على غلقه عشرون رجلاً بصعوبة، شوهد ينفتح من تلقاء ذاته أثناء الليل. كما شوهدت مركبات وفرق من الجند مدججين بالسلاح بين السحب فوق المدينة المقدسة... ويذكر لنا يوسيفوس حادثاً عجيباً آخر... ففي سنة 63- قبل خراب المدينة بسبع سنوات- ظهر فلاح اسمه يوشيا في مدينة أورشليم في عيد المظال، وأخذ يصيح بلهجة نبوية نهراً وليلاً في الشوارع وبين الناس قائلاً: (صوت من الشرق، صوت من الغرب، صوت من الرياح الأربعة، صوت ضد أورشليم والبيت المقدس، صوت ضد العرائس والعrsان، صوت ضد هذا الشعب جميعه. ويل ويل لأورشليم)... وإذ أزعج هذا المتنبئ الحكام بويلاته، قبضوا عليه وجلدوه لأنه تنبأ بالشر عليهم وعلى مدينتهم... أما هو فلم يبد أية مقاومة، بل استمر يردد ويلاته. ولما قدم لألبينوس **Albinus** الوالي، أمر بجلده حتى ظهرت عظامه. ومع كل ذلك ما كان ينطق بكلمة دفاعاً عن نفسه، ولا لعن أعداءه. وكل ما فعله أنه كان يصدر صوتاً حزيناً مع كل جلدة [ويل ويل لأورشليم]... لم يجب بشيء على أسئلة الحاكم، من هو، ومن أين... أخيراً أطلقوا سراحه كرجل مجنون... لكنه استمر على هذه الحال حتى نشبت الحرب، لا سيما في الأعياد الثلاثة الكبرى، معلناً إقتراب سقوط أورشليم... وحدث أثناء حصار المدينة أنه كان يردد مرثاته فوق سور المدينة. وفجأة أضاف إلى العبارات الأولى التي كان يرددتها قوله: [ويل ويل لي أنا أيضاً]. وما أن إنتهى من قوله هذا حتى استقر حجر على رأسه ألقاه الرومان فمات.

(68) انظر: مت 24: 1، 2، مر 13: 1، لو 19: 43، 44، 21: 6.

(69) Josephus, Wars of the Jews, 6.5.

ثورة اليهود:

فى مدة حكم الولاية الرومان فيلكس وفستوس والبينوس وفولوروس Florus إزداد الفساد الأخلاقى والإنحلال الإجتماعى بين يهود فلسطين، مع إزداد ثقل نير الحكم الرومانى على الشعب سنة بعد أخرى. وكان من مظاهر هذا الإنحلال ظهور جماعة من السفاحين فى عهد ولاية فيلكس عرفوا باسم "حملة الخناجر" Sicarians ، من كلمة Sica أى خنجر. كانوا مسلحين بالخناجر، وعلى إستعداد لإرتكاب أية جريمة مقابل أى شيء ... إنتشر هؤلاء فى ربوع فلسطين وهددوا الأمن فى المدن والريف.

وإلى جانب ذلك، وصلت روح التحزب بين اليهود أنفسهم وكراهيتهم لمستعمرهم الوثنيين، وتعصبهم السياسى والدينى حداً بالغاً. وقد شجع على هذه الروح وزادها إشتعلاً، ظهور الأنبياء والمسحاء الكذبة. وقد إستطاع أحدهم- بحسب رواية يوسيفوس- أن يجذب وراءه ثلاثين ألف رجل... وهكذا بدأت تتم كلمات ربنا يسوع النبوية عن ظهور مسحاء كذبة وأنبياء كذبة يضلون كثيرين⁽⁷⁰⁾.

وفى شهر مايو سنة 66 م- تحت حكم الولى الرومانى فلوروس، وكان طاغية شريراً قاسياً- إندلعت ثورة يهودية منظمة ضد الرومان . وفى نفس الوقت قامت حرب أهلية بين جماعات الثوار المختلفة، لا سيما بين جماعة الغيورين Zealots المتطرفين، وفريق المعتدلين، أو بين المتطرفين والمحافظين من اليهود... كان أعضاء جماعة الغيورين مملوئين شراسة وتعصباً للدين والوطن والقومية اليهودية. وكان لهم النفوذ والسيطرة فى المجال الحربى. ومن ثم فقد سيطروا بعنفهم على المدينة المقدسة أورشليم وهيكلها. وأشاعوا الذعر بين الأهلىن، وعبأوا أفكار الناس ومشاعرهم إنتظاراً لظهور المسيا. كما رحبوا بكل خطوة نحو الدمار والخراب، كخطوة نحو التحرر!! وفسروا ظهور المذنبات والشهب والإنذارات المخيفة والأعاجيب التى صاحبت تلك الفترة، على أنها علامات لمجىء المسيا وملكه على الأمم⁽⁷¹⁾... لقد كان تحدى اليهود للدولة الرومانية فى ذلك الوقت، يعنى تحديهم لأكبر قوة مسلحة فى العالم وقتذاك. ومع ذلك فقد أعماهم تعصبهم الدينى، الذى استوحوه من ذكريات بطولات

(70) انظر: مت 24، مر 13، لو 21.

(71) Schaff, Vol. 1. pp. 393,394.

معنى ملك المسيا على الأمم فى نظر اليهود، سيادتهم هم.

ثورات المكابيين، عن الفشل المحقق.

الغزو الروماني:

عندما بلغ نيرون خبر ثورة اليهود، أرسل قائده الذائع الصيت فسبسيان **Vespasian** على رأس قوة كبيرة إلى فلسطين... بدأت الحملة سنة 67 من ميناء بتولمايس (عكا)، وواجهت مقاومة مستميتة في الجليل قوامها ستون ألف مقاتل... لكن ما لبثت الأحداث في روما أن حالت بين فسبسيان واستكمال النصر، واضطرته إلى العودة إليها، بعد أن إنتحر نيرون، وتعاقب على العرش الإمبراطوري ثلاثة أباطرة في فترة وجيزة. وانتهى الأمر باعلان فسبسيان إمبراطوراً سنة 69، فعمل على إعادة الأمن والنظام في ربوع الإمبراطورية.

خلف فسبسيان في قيادة الحرب ضد اليهود ابنه تيطس **Titus** الذي صار هو الآخر إمبراطوراً بعد هذه الأحداث بعشر سنوات... كان جيش تيطس قوامه نحو ثمانين ألف مقاتل مدرب، وأقام معسكره على جبل سكوبس **Scopus** وجبل الزيتون المتاخم، في مواقع تمكنه من رؤية المدينة أورشليم والهيكل رؤية واضحة. وكان وادي قدرون يفصل بين الرومان واليهود المحاصرين.

بدأ الحصار في أبريل سنة 70 م عقب عيد الفصح مباشرة. وكانت أورشليم غاصة بالغرباء الذين وفدوا إليها لحضور ذلك العيد العظيم. حاول تيطس في بادئ الأمر التفاهم مع اليهود بالحسنى، لكن جماعة الغيورين رفضوا بكل تحد مقترحات تيطس ومحاولاته المتكررة، وتوسلات يوسيفوس (المؤرخ) الذي صحبه كمرجم ووسيط... وكانوا في ثورتهم الجنونية يقتلون كل من يتحدث عن الإستسلام.

قام اليهود ببعض الهجمات أسفل وادي قدرون وفوق الجبل، كبدوا فيها الرومان خسائر كبيرة... كان هذا النجاح المبدئي سبباً في إزدياد حماس الغيورين، على الرغم مما حل بهم من مصائب ومتاعب... كان تيطس يصلب يومياً من اليهود العصاة نحو خمسمائة يهودي... وما لبثت أن ظهرت المجاعة في أورشليم، نتيجة احكام الحصار عليها. كانت المجاعة تحصد في كل يوم آلاف اليهود، الأمر الذي أضطر امرأة يهودية أن تشوى طفلها لتأكله⁽⁷²⁾!! وعلى الرغم من كل ذلك، فإن هذا البؤس كله لم يزعج جماعة الغيورين المسيطرين على الموقف عن تعصبهم الجنوني... والواقع

(72) يذكر يوسيفوس هذه القصة المرعبة في كتابه: Wars of the Jews, 6.3.4.

أن التاريخ لم يسجل لنا صوراً للبؤس أبشع مما شهدته أورشليم مدة حصارها على يد تيطس. كما أنه لا يسجل لنا مقاومة عنيدة، وشجاعة يائسة، وإستخفافاً بالموت، على نحو ما أظهره اليهود في تلك الحرب⁽⁷³⁾.
دمار المدينة والهيكل:

أخيراً- فى يولية سنة 70 م- باغت الرومان حصن أنطونيا Antonia ليلاً واستولوا عليه. وبسقوط هذا الحصن، أصبح الطريق مههداً لوضع أيديهم على الهيكل، فتوقفت الذبائح اليومية فى اليوم السابع عشر من يولية، لأن اليهود كانوا فى حاجة إلى كل الأيدي للدفاع فى الحرب ... ولعل آخر ذبيحة وأغزرها دماء قدمت على مذبح المحرقة كانت آلاف اليهود الذين ذبحهم الرومان وقد تجمهروا حول هيكلهم للدفاع عنه!!
كان تيطس - بحسب رواية يوسيفوس - ينوى فى بادئ الأمر أن يبقى على الهيكل، كعمل معمارى رائع يحفظ ذكرى إنتصاره. وعندما هددت أسنة النيران قدس الأقداس، شق طريقه بصعوبة بين اللهب والدخان، فوق جثث القتلى، وتلك التى كانت بين الحياة والموت، حتى ما يحصر النيران لكن جنوده كانوا فى حالة هياج هستيرى نتيجة المقاومة العنيدة التى أبداها اليهود، والطمع فى كنوز الهيكل الذهبية، لم يكن فى الإمكان إيقافهم. عن أعمال التخريب⁽⁷⁴⁾.

كانت الأروقة المحيطة بالهيكل هى أول ما احترق منه. ثم ما لبثت أن طرحت كتلة نارية عبر البوابة الذهبية. وعندما تصاعدت أسنة اللهب، أطلق اليهود صرخات هستيرية مفزعة، وحاولوا إخماد النار، بينما وجد آخرون عزاءهم - وهم يتعلقون بأخر أمل لهم فى خلاص المسيا - فى أن يعلنوا نبوءة نبي كاذب، مؤداها أن الله وسط حريق الهيكل، وسيعطى علامة الخلاص لشعبه !!.. تنافس الجنود الرومان فى تغذية أسنة النيران، وسرعان ما تحول كل البناء الضخم إلى شعلة نارية أضاعت السماء... هكذا أحرق الهيكل فى العاشر من أغسطس سنة 70م. وهو حسب التقليد، نفس اليوم الذى خرب فيه الهيكل قديماً على يد نبوخذنصر ملك بابل⁽⁷⁵⁾ !!
يقول يوسيفوس- وهو شاهد عيان- فى وصفه لخراب الهيكل: [لا يمكن أن يتصور أحد أصوات أعلى وأكثر فزعاً مما حدث من كل ناحية أثناء

(73) Schaff, Vol. 1, pp. 395-397.

(74) يتضارب المؤرخين فى مدى مسئولية تيطس فى حرق الهيكل، بين من يحملة هذه المسئولية، ومن يعفيه منها. انظر: Schaff, Vol. 1, p. 397

(75) Schaff, Vol. 1, pp.397,398.

إحترق الهيكل. صيحات الإنتصار والفرح الصادرة من الجنود الرومان تختلط بصيحات عويل الشعب المحاصر بالنار والسيف فوق الجبل وداخل المدينة. وكان الصدى الواصل من كل الجبال المحيطة يزيد هذا الزئير الذى يصم الأذان. ومع ذلك فالبؤس نفسه كان أفظع من هذا الاضطراب. كان التل المقام عليه الهيكل يغلى من السخونة، وبدأت وكأنه ملفوف حتى سفحه بطبقة واحدة من اللهب. كانت الدماء فى كميتها أكثر من النار، والمذبوحون أكثر عدداً ممن ذبحوهم. ولم تعد الأرض ترى فى أى موضع، إذ كانت مغطاة بأكوام من جثث القتلى، سار فوقها الجند وهم يتعقبون الهاربين [76].

وما لبث الرومان أن ثبتوا شعاراتهم (النسور الرومانية) فوق الأنقاض فى الجهة المقابلة لبوابة أورشليم الشرقية، وقدموا لها القرابين، وهتفوا لقائدهم المظفر تيطس بأعظم تهليل الفرحة... هكذا تمت النبوءة الخاصة "برجسة الخراب القائمة فى الموضع المقدس" [77].
قصاص الله العادل:

لقد هدمت أورشليم تماماً، ولم يترك بها سوى ثلاثة أبراج من قصر هيرودس مع جزء من الحائط الغربى. وقد أبقى عليها كآثار لقوة المدينة المقهورة، التى كانت يوماً معقلاً لدولة اليهود الدينية، ومهد الكنيسة المسيحية. ولقد أحس الجميع وأعترفوا بأن كارثة اليهود إنما هى قصاص إلهى... فقد نسب إلى تيطس قوله ان الله بمعونته خاصة ساعد الرومان ومنع اليهود من الإفلات من قبضة يدهم القوية...

أما يوسيفوس (78) الذى تابع الحرب بنفسه من أولها إلى آخرها، فقد استطاع أن يتبين فى تلك المأساة عدل الله، واعترف بذلك وقال: [إننى لا أتردد فى أن أبوح بما يؤلمنى إنى أومن أنه لو أجل الرومان عقابهم لهؤلاء الأشرار لابتلعت الأرض المدينة (أورشليم)، أو أغرقها طوفان، أو أحرقت بنار من السماء كما حدث لسدوم، لأن جيلهم كان أكثر شراً من أولئك الذين حلت عليهم النقمات فى سالف الأزمان. فبسبب جنونهم بادت الأمة كلها

(76) Josephus, Wars of the Jews, 6.5.1.

(77) انظر: دانيال 9: 27 ، مت 24: 15 بالمقارنة مع لوقا 21: 20- انظر أيضاً:

Josephus: Wars of the Jews, 6.6.1.

(78) كان يوسيفوس المؤرخ اليهودى، حاكماً على الجليل، وقائداً لجيش اليهود، ثم أسر فى يد فسبسيان. بعد ذلك رافق تيطس وعمل كمترجم ووسيط بين الرومان واليهود.

[(79) ..

هكذا كان لابد لواحد من أفضل الأباطرة الرومان أن ينفذ قضاء الله،
ولآخر من أكثر اليهود ثقافة في زمانه أن يصفه... هكذا أيضاً - دون أن
يعرفا أو يريدوا - شهداً لصدق النبوة وألوهة يسوع المسيح ربنا، الذى إذ
رفضه هؤلاء اليهود الجاحدون، عانوا البؤس والشقاء فى ملء
بشاعتهم⁽⁸⁰⁾.

مصير اليهود بعد هزيمتهم:

بعد حصار دام خمسة أشهر وقعت المدينة كلها فى أيدى الرومان
الظافرين. وقد بلغ عدد من لقي حتفه من اليهود مدة الحصار - بحسب
رواية يوسيفوس- مليوناً ومائة ألف. منهم أحد عشر ألفاً هلكوا جوعاً.
وأسر منهم سبعة وتسعون ألفاً. بعضهم بيعوا عبيداً، والبعض أرسلوا للعمل
فى المناجم، بينما قرب البعض كضحايا فى حلبات المصارعة فى قيصرية
وببيروت وأنطاكية وبلاد أخرى. واحتفظ بأكثرهم قوة بدنية ووجاهة ليسيروا
فى مواكب النصر فى روما، وبينهم أكبر قادة الثورة اليهودية وزعمائها:
سمعان بارجيورا Simon Bar-Giora ويوحنا الذى من جيشالا
Gischala⁽⁸¹⁾.

احتفل فسبسيان وتيطس بالنصر معاً إحتفالاً عظيماً فى روما سنة 71
م. فركب كل منهما مركبة خاصة متوجاً بأكاليل الغار، ولابسا ثياباً
أرجوانية، بينما إمتطى دومتيان سهوة جواد ممتاز. سار الموكب فى تودة
إلى معبد جوبيتر كابيتولينوس Jupiter Capitolinus وسط هتافات
الجماهير. وكان يتقدم الموكب جنود فى ثياب إحتفالية، وسبعمائة أسير
يهودى ...

وقد حملت فى هذا الموكب بعض صور الآلهة التى يعبدها الرومان،

(79) Josephus, Wars of the Jews, 5.13.6,6.9.1.

(80) لقد حركت كارثة خراب أورشليم ودمار الهيكل مشاعر الفنانين فى كل العصور. وأحدهم وهو الألماني كولباخ
Kaulbach من فناني العصر الحديث، جعلها مادة للوحة من أعظم لوحاته المعروضة فى متحف برلين. واللوحة تصور
الهيكل المحترق: فى صدرها رئيس الكهنة اليهودى يغمد سيفه فى صدره، ومن حوله تصوير لالام تمزق القلوب وفى أعلا
اللوحة الأنبياء القدامى يتأملون إتمام أقوالهم النبوية. وتحتهم تيطس مع جيشه الرومانى كمنفذ للغضب الإلهى دون أن
يدرى. وأسفل اللوحة من جهة اليسار أهسيروس Ahasuerus السانح اليهودى صاحب الأسطورة التى ذاعت فى
العصور الوسطى تسوقه النعمة إلى المستقبل البعيد. وإلى اليمين جماعة المسيحيين خارجين فى سلام من مشهد الخراب،
وأطفال اليهود يلتمسون حمايتهم ... !!

(81) Josephus, Wars of the Jews, 6.9.2-4.

وبعض قطع من أثاث الهيكل اليهودي⁽⁸²⁾، وأودعت معبد السلام⁽⁸³⁾ الذي كان قد بنى منذ وقت قصير... أما كتب الناموس والستائر الأرجوانية الخاصة بالهيكل، فقد احتفظ بها فسبسيان لقصره... كان يوسيفوس أحد شهود هذا الاحتفال الخاص بإذلال أمته، ووصفه لنا دون أن يبدي أي مشاعر لتأثره⁽⁸⁴⁾.

لقد نتج عن فتح فلسطين على يد الرومان، دمار مصالح اليهود وتدهور إقتصادهم... احتفظ الامبراطور فسبسيان بالأرض كملك خاص له يوزعها على أخصائه. ولقد وصل الشعب اليهودي بعد حروب دامت خمس سنوات الى حالة من الفقر المدقع... صاروا بلا حاكم منهم، بلا وطن⁽⁸⁵⁾. و بلا هيكل⁽⁸⁶⁾

اثر خراب اورشليم على الكنيسة المسيحية

ما أن تذكر مسيحيو اورشليم تحذيرات الرب (مت 24: 15)، حتى تركوا المدينة التي ستحل بها النكبة... تركوها في وقت مناسب وهربوا إلى مدينة بلا Pella في العشر مدن وراء الأردن شمالي بيرية... هناك فتح لهم الملك هيرودس أغريباس الثاني ملجأ أميناً... ويقول تقليد قديم - كما يروي يوسابيوس المؤرخ وبيفانيوس - أن ملاكاً أو صوتاً إلهياً أعلن لقادة المسيحيين وجوب الهرب. وقد حدث ذلك قبل خراب اورشليم بأربعة أعوام⁽⁸⁷⁾... وهناك وسط سكان معظمهم من الأمميين تأسست كنيسة الختان مرة أخرى... وللأسف لا يمدنا التاريخ بأية معلومات عن الكنيسة المسيحية في مدينة بلا ...

(82) مائدة خبز الوجوه، والمنارة الذهبية ذات السبعة سرج، والأبواق التي كانت تعلن بدء سنة اليوبيل والمجامر وبعض أدراج الناموس.
(83) أحرق هذا المعبد فيما بعد في عهد الامبراطور كومودس Commodus ولا يعلم ماذا إنتهت إليه قطع الأثاث المذكورة.

(84) Josephus, Wars of the Jews, 7.5.5-7

(85) أعلن اليهود عصيانياً آخر، وقاموا بثورة ثانية في عهد الإمبراطور هدرين في الفترة من 132 إلى 135 م بزعامة مسيح كذاب يدعى باركوكبا Bar-Cocheba ولكنها لم تؤد إلا إلى دمار أكمل لأورشليم، وتخريب كلى فلسطين.

(86) يوليانيوس الجاحد الإمبراطور البيزنطي (361-363 م) الذي كان مسيحياً وارتم إلى الوثنية، حاول مقاومة المسيحية عن طريق تكذيب نبوة السيد المسيح بهدم الهيكل وخرابه. فعاون اليهود وعضدهم لإعادة بناء هيكلهم. وفعلاً بدأوا بحفر الأساسات غير أنهم فشلوا إذ حدثت زلزلة ملأت حفر الأساسات تراباً. كما خرجت كرات نارية من الأساسات منعت عمال البناء من العمل، وأذابت آلات البناء. وهكذا فشل المشروع. روى هذه الرواية المؤرخ الوثني أميانوس Ammianus الذي كان مرافقاً ليوليانيوس حتى وقت قتله وهذا المؤرخ هو أوثق مصدر لتاريخ يوليانيوس. أنظر:

Smith, Dictionary of Christian Biography, Vol. 3, pp. 511.

(87) Eusebius, H.E., 3.5.3

لقد أحدثت النكبة المروعة التي حلت بأورشليم وهيكلها اليهودي،
آثاراً ونتائج عميقة في المسيحيين، يمكن تلخيصها فيما يلي (88):

1- كان المسيحيون حتى قبيل خراب أورشليم وهيكلها، يعيشون في توقع يومي لإنقضاء العالم، وعودة الرب يسوع السريعة. لقد إختلط عليهم الأمر في فهم الصورة النبوية التي رسمها الرب عما سيحدث فيما بعد، فلم يستطيعوا أن يفرقوا بين النبوات المختصة بخراب أورشليم والهيكل، وتلك التي تشير إلى إنقضاء الدهر والدينونة العامة. لم يفهموا أن خراب أورشليم وهيكلها كان رمزاً للدينونة العامة المحفوظة للعالم أجمع... هذا الخلط الطبيعي في زمان ما قبل خراب الهيكل، لم يعد ممكناً بعد أن فقدت اليهودية مركزها الديني.

ولدينا دليل على هذا الفهم الجديد فيما رواه هيجيسبوس Hegesippus ونقله إلينا يوسابيوس المؤرخ. فلقد دعا الإمبراطور دومتيان (81- 96) بعض أقارب الرب يسوع بالجسد، وسألهم عن مملكة المسيح وعودته. فكان جوابهم: [إن هذه المملكة ليست زمنية أو أرضية، بل سماوية ملائكية، سوف تظهر في نهاية العالم، عندما يأتي في المجد ليدين الأحياء والأموات، ويعطى كل واحد حسب أعماله] (89)...

2- هذا الفهم - بمثل هذا الوضوح والإيجابية - عن طول مدة النضال والألم (الذين ينتظران الكنيسة) وارتباطه بزوال نظام العبادة القديمة - الذي كان ما يزال يتمسك به كثير من اليهود المتنصرين، ساعد على استقرار تنظيم الكنيسة... والواقع أنه ابتداء من سنة 70 م، نلاحظ تقدماً ملموساً نحو وضع محدد لتنظيم الكنيسة وعبادتها. لقد بدأت الكنيسة منذ ذلك الوقت تتحقق من مكانتها كإسرائيل الحقيقي.

3- ثمة نتيجة هامة لسقوط أورشليم وخراب هيكلها. لقد كان هذا الخراب ضربة قوية للمتنصرين من اليهود المتمسكين بالناموس اليهودي. هذا الحدث الهام كان فيه إتمام لكلام السيد المسيح، وإشعار لهم بأنه لا يريد لهم أن يستمروا في ممارسة العوائد اليهودية التي كان الهيكل مركزها. ومنذ ذلك الوقت بدأ هؤلاء اليهود المتنصرون يقتربون من الأمم المتنصرين... وبعبارة أخرى بدأ التقارب بين اليهودية المتنصرة والوثنية المؤمنة.

(88) Schaff, Vol. 1, pp. 402-404, De Pressensé, Vol. 1, pp. 406

(89) Eusebius, H.E., 3.20.6

4- ومن نتائج خراب أورشليم وهيكلها، أن بدأت نهضة يهودية قادت حرباً تعليمية سافرة ضد المسيحية. فبعد خراب الهيكل بزمن قصير بدأ اليهود ينظمون صفوفهم، وتشكل سنهدين جديد في جنبه⁽⁹⁰⁾ Jabna بدأ يجمع حوله فلول الشعب اليهودى وقد أظهر هذا المجلس كل عدااء نحو المسيحيين. ومما قاله أحد معلمهم وهو الربان تارفو Tarpho: [الأناجيل تستحق الحرق. إن الوثنية أقل خطراً من الشيع المسيحية. فالأولى لا تقبل الحق اليهودى بسبب الجهل، بينما المسيحيون يعرفونه ومع ذلك يرفضونه. يمكن أن نجد الخلاص فى المعابد الوثنية أسرع من وجوده وسط الجماعات المسيحية]... ووضعت قيود مُنَعَ بها اليهود من مشاركة المسيحيين الطعام- وقد وضع الربان غملائيل صورة لحرمة مَنْ يتجاسر على مخالفة ذلك فى الصلوات اليومية، مؤداها أنه لا رجاء للمرتدين (اليهود المنتصرين)... وهكذا نرى أنه لا توجد هوة أعمق من ذلك، فصلت بين كنيسة الختان والمجمع اليهودى.

5- كان من أثر ذلك أننا نجد فى القرن الثانى الميلادى كنيسة مزدهرة بدون أية إتجاهات يهودية- فى ألياكابيتولينا⁽⁹¹⁾ Aelia Capitolina ... ومن المؤكد أن عدداً كبيراً من سكانها كانوا من المسيحيين الذين ينتمون إلى أصل يهودى. وكان هؤلاء يختلطون بالأمم المنتصرين دون أدنى تمييز أو فوارق. وهذا دليل كبير على إضمحلال المسيحية المتهودة.

(90) تذكر أيضاً باسم جمنيا Jamnia، وهى على مقربة من ساحل البحر المتوسط فى منتصف المسافة تقريباً بين يافا شمالاً وأشدود جنوباً- انظر: The Westminster Historical Atlas to the Bible, p.58
(91) هى المستعمرة الرومانية التى أقيمت على أنقاض مدينة أورشليم عقب عصيان باركوكبا (132-135م)، ولم يسمح لليهود بدخولها بموجب مرسوم امبراطورى.